

# علاء الدين عطا ملك الجوهري صالح العراق

بمدا انقضاء الخلافة العباسية في بغداد

تأليف

الدكتور محمد السعيد جمال الدين

الأستاذ المشارك بجامعة عين شمس بالقاهرة  
والامام محمد بن سعود الاسلامية بالقصيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



# علاء الدين عطا ملك الجوهري هاكم العراق

بعد انقضاء الخلافة العباسية في بغداد

تأليف

الدكتور محمد السعيد جمال الدين

الأستاذ المشارك بجامعة عين شمس بالقاهرة  
والامام محمد بن سعود الاسلامية بالقصيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

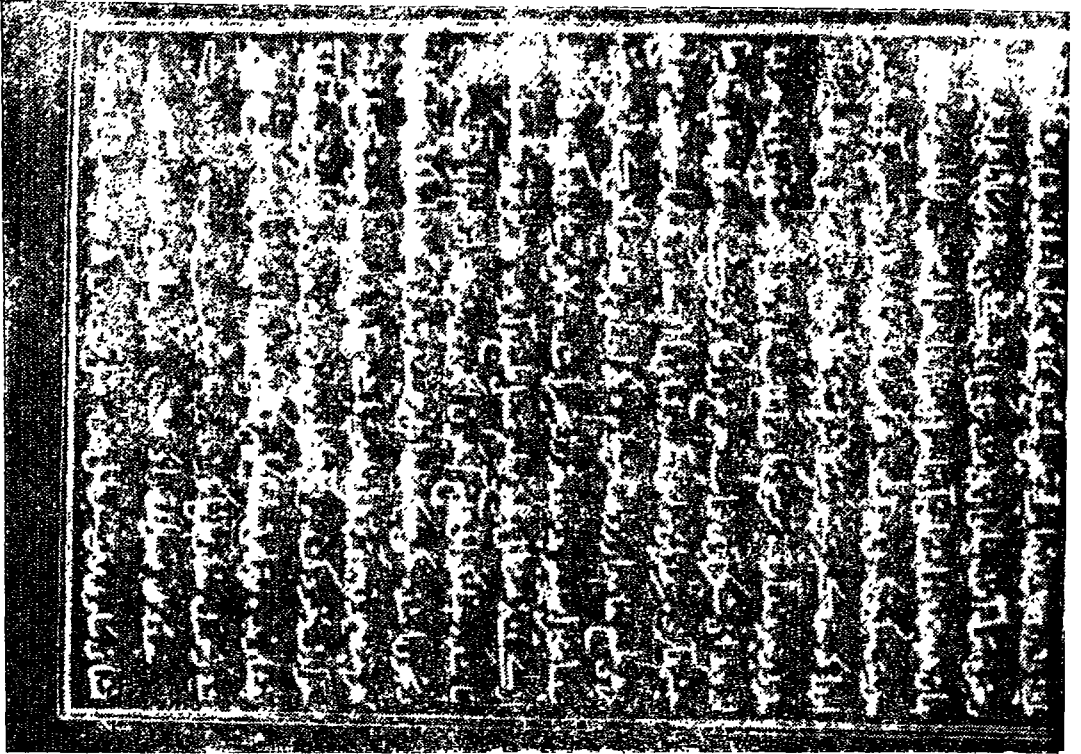


بسم الله الرحمن الرحيم

« رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى  
والدى ، وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى ،  
انى تبت اليك ، وانى من المسلمين » •

( قرآن كريم )





صورة للورقة الأولى من مخطوط «مسألة تسليمة الاخوان المفظوط بالكتابة الالهية بباريس









## علاء الدين عطا ملك الجوينى

### حاكم العراق

#### بعد انقضاء الخلافة العباسية فى بغداد

مقدمة :

حظى علاء الدين عطا ملك الجوينى باهتمام كبير وشهرة عريضة واسعة فى أوساط المستشرقين والدارسين المسلمين منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادى وحتى وقتنا هذا (١) .

ويرجع هذا الاهتمام الى أن علاء الدين كان رجلا متعدد الجوانب ، متنوع المواهب ، فلقد عاش فترة انتقالية شديدة الحرج ، حيث أقدم على العمل فى وظيفة كتابية بديوان الحاكم المغولى لبلاد فارس ، بعد أن اجتاحتها المغول وقضوا على ما فيها من حضارة وتمدن ، وقتلوا معظم أهلها ، وارتكبوا من الأعمال الوحشية ما تقشعر له الأبدان ، ويشيب لهوله الولدان .

وكان الى جانب ذلك مؤرخا بارعا ، ألف بلغته الفارسية كتابا يعد مصدرا أصيلا من مصادر التاريخ الاسلامى ، وتنعى به كتاب « تاريخ جهانكشاي » ، أى تاريخ فاتح العالم ، الذى ينطوى على معلومات وأخبار فى غاية القيمة عن دول المغول ، والخوارزميين ، والاسماعيلية ، وهى دول عاصرها علاء الدين بنفسه ، وكان شاهد عيان على أحداثها ، وانتهاز الفرص

(١) كان أول من عنى بترجمة حياة علاء الدين والتعريف بكتابه جهانكشاي المستشرق الفرنسى كاتمر فى كتابه « الكنوز الشرقية » الذى نشر سنة ١٨٠٩ م ، وتبعه فى ذلك المستشرق الفرنسى شيفر ، فى كتابه « مختارات فارسية » ( ١٨٨٥ م ) ثم جاء المرحوم الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى فنشر مقالة ضافية فى غاية القيمة عن علاء الدين وأسرته ومؤلفاته فى مقدمة الجزء الأول من « تاريخ جهانكشاي » ، الذى صدر سنة ١٩١٢ م .

وانظر أيضا : مقالا نشر باللغة العربية عن شخصية عطا ملك وكتابه جهانكشاي ، كتبه الأستاذ الدكتور أحمد محمود الساداتى بعنوان « تاريخ جهانكشاي » ، مجلة تراث الانسانية « العدد الثانى ، المجلد الرابع ، مصر ١٩٦٦ م ، ص ١١٨ - ١٣٢ . ومقالات أخرى نشر بالعربية أيضا بعنوان « علاء الدين عطا ملك الجوينى وكتابه التواريخى جهانكشاي » للأستاذ الدكتور أحمد خالد البديلى ، مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض ، المجلد الأول ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م .

الضئيلة التي كان يخلو فيها الى نفسه يعن ممارسة أعماله الديوانية المعقدة ، ودون هذه الأحداث والمعلومات الهامة عن المغول وغيرهم ، فى وقت عزف فيه كبار المؤرخين المعاصرين لهذه الأحداث - كالمؤرخ النابه عز الدين بن الأثير - عن الكتابة عنهم ، كما ذكر ابن الأثير نفسه فى حوادث سنة ٦١٧ عند حديثه عن « خروج القتر الى بلاد الاسلام » (٢) .

أما علاء الدين الجوينى فلم يجد حرجا فى ذكر هذه الأحداث ، وليس هذا فحسب ، بل أخذ - بحكم صلاته بالمغول - يسجل شهاداتهم عن أصولهم وقبائلهم ، ويورد روايات عن شهود رأوا بأنفسهم هذه الأحداث وشاركوا فيها ، فجاء كتابه « تاريخ جهانكشاي » لكى يسد نقصا واضحا فى المكتبة التاريخية الاسلامية . وتم طبعة بمعرفة « مؤسسة جب التذكارية البريطانية » بتحقيق المرحوم الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى . وما لبثت منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة أن عهدت الى المستشرق الأمريكى ج . أ . بويل بترجمة الكتاب الى الانجليزية ، والى المستشرق الروسى المعروف « مينورسكى » بمراجعة ترجمة الكتاب الذى طبع فى هارفارد سنة ١٩٥٨ م .

كان علاء الدين قد رافق هولوكو - القائد المغولى - فى حملته على الخلافة العباسية فى بغداد سنتى ٦٥٥ - ٦٥٦ ، وما لبث هولوكو أن عينه حاكما للعراق ، اثر انهيار الخلافة العباسية ، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى تلك البلاد ، فظل علاء الدين حاكما للعراق منذ سنة ٦٥٧ حتى وفاته سنة ٦٨١ . وتمكن خلال هذه السنوات الأربع والعشرين من النهوض بالعراق من كبوته الاقتصادية والحضارية ، وشهد الناس بنجاح علاء الدين فى ذلك نجاحا كبيرا ، حتى بالغ بعض المؤرخين وقال : « عمر علاء الدين صاحب الديوان بغداد حتى كانت أجود من أيام الخلافة » (٣) .

ولئن كان الدارسون من المسلمين والمستشرقين قد عنوا بالبحث والدرس فى حياة علاء الدين الجوينى ككل واحد لا يتجزأ ، فان ذلك قد أدى الى طمس ملامح الحياة السياسية والاجتماعية التى كان يحيها حاكم العراق فى ذلك

(٢) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ١٢ : ٣٥٨ ، طبع بيروت . ١٣٨٦ هـ .

(٣) انظر : تاريخ الاسلام للذهبي ، ج ٣٢ ورقة ٦ من النسخة الخطية المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢ تاريخ .

الوقت ، لا سيما وأن علاء الدين كتب بنفسه رسالتين تمثلان في الواقع سيرة ذاتية ، أو مذكرات شخصية دونها في الفترة الأخيرة من حياته ، وكان لا يزال حاكماً للعراق . وتتضمن هاتان الرسالتان معلومات وإشارات في غاية القيمة عن الحياة التي كان يحيها حاكم العراق حينذاك .

وكان الأستاذ « محمد بن عبد الوهاب القزويني » أول من عثر على هاتين الرسالتين في المكتبة الأهلية في باريس (٤) ، ونية إلى أهميتهما في دراسة الفترة الأخيرة من حياة علاء الدين ، وأفاد بهما في كتابته مقدمته لتاريخ جهانكشاي ، ثم وعد بنشرهما بعد تحقيقهما لكي تعم الاستفادة بهما على أوسع نطاق (٥) . غير أن المنية عاجلته ، وبقيت هاتان الرسالتان دون أن تحققا وتنشرا حتى الآن .

ولقد طلبت خلال زيارتي للمكتبة الأهلية في باريس في ربيع سنة ١٣٩٧ هـ ( ١٩٧٧ م ) تصوير هاتين الرسالتين بهدف الاستفادة بهما في كتابة هذا البحث ، وتم تصويرهما بالفعل .

وكان علاء الدين الجويني قد أطلق على أولى هاتين الرسالتين اسم « تسلية الاخوان » . وقد ألفها باللغة الفارسية سنة ٦٨٠ ، ودون من خلالها مذكراته عن تلك السنة . أما الرسالة الثانية فلم يطلق عليها اسما ، ويبدو أنه عدها مكملة للرسالة الأولى ، وألفها - بالفارسية أيضا - في غضون سنة ٦٨١ ، واستأنف فيها عرض الأحداث التي مرت به في النصف الأول من عام ٦٨١ ، وهي نفس السنة التي توفي فيها .

---

(٤) توجد كل من هاتين الرسالتين في ذيل إحدى النسخ الخطية لكتاب « جهانكشاي » المحفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس . فالرسالة الأولى « تسلية الاخوان » تأتي في ذيل النسخة رقم

Suppl. Pers 1556 — pp. 220b - 231a

أما الرسالة الثانية الملحقه برسالة تسلية الاخوان فتأتي في ذيل النسخة الخطية رقم .

Suppl. Pers. 206, — pp. 1 b - 41b

(٥) انظر : مقدمة محمد بن عبد الوهاب القزويني لكتاب « تاريخ جهانكشاي » ج ١ ، ص : ١ ، طبع ليدن ١٩١٢ م .

- ٤ -

وسوف نحاول فى هذا البحث - بعون من الله تعالى - أن نلقى الأضواء على الفترة الأخيرة من حياة علاء الدين ، وهى الفترة التى حكم فيها بغداد والعراق العربى ، وسيكون جل اعتمادنا على ما كتبه علاء الدين عن نفسه فى هاتين الرسالتين المذكورتين ، غير أننا سنبدأ حديثنا أولاً بتعريف يسير بنسب علاء الدين وأسرته ، ومولده ، ثم نعرض عرضاً سريعاً للأعمال التى تولاها قبل حكم بغداد .

---

## ١ - علاء الدين الجويني قبل حكم بغداد

### نسيبه :

عندما ترجم الحافظ الذهبي في كتابه « تاريخ الاسلام » لعلاء الدين عطا ملك الجويني ، وصل نسيبه بالفضل بن الربيع ، حاجب خلفاء بني العباس ، يقول : « هو الصدر المعظم ، صاحب الديوان ، علاء الدين أبو المظفر عطا ملك ، بن بهاء الدين محمد ، بن محمد ، بن محمد ، بن علي ... بن الفضل بن الربيع » (٦) .

وقد انتهز ابن الطقطقي ، صاحب كتاب « الفخرى في الآداب السلطانية ، بسبب العداء الذي كان يكره لعلاء الدين (٧) ، فرصة الترجمة للربيع الحاجب في كتابه ، وقدح قدحا شديدا في نسب الربيع ، وذكر أنه مشكوك ومطعون فيه لدى العلماء ، وأبدى دهشته من انتساب علاء الدين الى رجل مثل الفضل بن الربيع (٨) .

ومهما يكن من أمر ، فإن الجد الأعلى لعلاء الدين ، المسمى بهاء الدين محمد ، كان يعمل في خدمة السلطان « آتسز » خوارزمشاه ، في سنة

---

(٦) تاريخ الاسلام ، النسخة المصورة بدار الكتب المصرية . رقم ٤٢ . تاريخ ، ج ٢٣ . ق ٧ .

(٧) فلقد قتل علاء الدين خلال فترة حكمه لبغداد « علي بن طباطبا » المعروف بالطقطقي . كان الفضل بن الربيع قد ولى حياية المنصور العباسي عندما ولى المنصور أباه وزيرا . ويقال ان الفضل ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ثمان ومائتين . وقد ولاة الرشيد الوزارة بعد نكبة البرامكة . والفضل من أحفاد أبي فروة « كيسان » مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه . انظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٢ : ٢٤٣-٢٤٤ طبع المطبعة السلفية بالمدينة المنورة ، وانظر أيضا : خير الدين الزركلي : الاعلام . وعلى بن طباطبا المذكور هو أبو محمد صاحب كتاب الفخرى ، وهذا هو منشأ العداء الذي كان يشعر به محمد هذا نحو علاء الدين . انظر فيما يلى ص ٢٢ - ٢٣ وانظر أيضا :

Boyle, J.A., Ibn al-Tiqtaqa and the Tarikh-i-Jahan-Gushay of Juvaini. B.S.O. A.S., Vol. XIV, Part I,

(٨) انظر : الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٢٩ - ١٣٠ ، طبع المطبعة الرحمانية ، مصر .

٥٨٨ (٩) • وكان جده المسمى شمس الدين محمد من ملازمى السلطان محمد خوارزمشاه كما كان يعمل مستوفيا لديوانه (١٠) ، وظل شمس الدين محتفظا بهذا المنصب فى عهد خليفة السلطان محمد المعروف باسم « جلال الدين المنكبرى » (١١) •

وبعد اجتياح جنكيز خان للمشرق الاسلامى وقضائه على الدولة الخوارزمية ، عمل أبو علاء الدين ، المسمى بهاء الدين محمد بن محمد (١٢) ، فى وظيفة صاحب الديوان (١٣) فى اقليمى خراسان ومارندران فى سنة ٦٣٠ ، تحت امرة المغول (١٤) • وفى سنة ٦٥١ تم اختياره ليتولى حكم العراق العجمى ، ولكنه لم يكد يصل الى اصفهان حتى اخترمته المنية •

وهكذا يتبين لنا أن علاء الدين ينتمى الى أسرة ضربت بسهم وافر فى الأعمال الديوانية ، وفى ملازمة السلاطين والملوك فى عهد دول السلاجقة ، والخوارزميين والمغول •

#### مولده واعماله الديوانية :

ولد علاء الدين عطا ملك الجوينى سنة ٦٢٣ (١٥) ، وقد عمل - كما

- 
- (٩) علاء الدين عطا ملك الجوينى : تاريخ جهانكشاي بتحقيق محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، طبع ليدن ، ١٩١٧ م ج ٢ ص ٢٨ •
- (١٠) انظر : غياث الدين بن همام ، المعروف بخوند أمير : كتاب حبيب السير ، نشر محمد حسين كاشانى ، بمبائى ١٢٧٣ هـ •
- (١١) أيضا ، أوائل الجزء الثالث ، فى ترجمة حياة شمس الدين محمد الجوينى •
- (١٢) كان خال بهاء الدين هذا هو الكاتب والأديب الفارسى المعروف « منتجب الدين بديع الجوينى الكاتب » وهو من أهم الأديباء الفرس فى فن الإنشاء والترسل ، وكان من أقرب الكتاب الى السلطان سنجر السلجوقى ،
- راجع : محمد عوفى ، لياح الألباب ، طبع ليدن ١ : ٧٨ - ٨٠ •
- (١٣) وظيفة صاحب الديوان تعادل فى عصرنا الحاضر وزارة المالية أو الخزانة •
- (١٤) تاريخ جهانكشاي ج ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ •
- (١٥) انظر : تاريخ الاسلام للذهبي ، نسخة دار الكتب المصرية ج ٢٢ ورقة ٧ ، وانظر أيضا ابن القوطى فى : « الحوادث الجامعة » طبع بغداد ١٩٣٢ م ص ٤٢٢ حيث يقول : « وكان مولده ( يعنى علاء الدين عطا. ملك ) فى عاشر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وستمائة » •



يحدثنا فى مقدمة كتابه جهانكشائى - منذ أوائل شبابه ، وقبل أن يبلغ العشرين من عمره بأعمال التحرير والديوان وانخرط فى سلك الكتبة الخصوصيين للحاكم المغولى لايران (١٦) ، وقد ساعدته وظيفته هذه على السفر الى بلاد المغول الأصلية فى منغوليا بضع مرات فى صحبة ذلك الحاكم . وقد بقى فى « قراقورم » عاصمة الامبراطورية المغولية نحو سنة ونصف فى احدى هذه المرات ، فعاش المغول ، وعان بعض الأحداث الهامة ، واتصل بعدد من أمراء المغول وأشرفهم ، فتيسرت له سبل جمع الحكايات والروايات المتعلقة بنشأة المغول وتاريخهم قبل جنكيز خان وبعده ، مما دفعه الى تأليف تاريخه المعروف « تاريخ جهانكشائى » (١٧) . الذى بدأ فى كتابته فى حدود سنة ٦٥٠ ، وانتهى فى سنة ٦٥٨ (١٨) .

وعندما جاء هولكو على رأس جيش كبير سنة ٦٥٤ قاصدا القضاء على الاسماعيلية فى ايران ، والاطاحة بالخلافة العباسية فى بغداد ، كان على الحاكم العام للبلاد الفارسية أن يتنحى عن منصبه لهولكو ، أذى الامبراطور منكوقان . غير أن هذا الحاكم عين ، قيل مغادرته البلاد ، علاء الدين عطا ملك فى خدمة هولكو « لتنظيم المهام وتدبير المصالح » ، وقد عهد اليهم بإدارة دفة الأمور فى ممالك العراق ( العجمى ) وخراسان ومازندران » (١٩) .

(١٦) تولى هذا الحاكم المغولى واسمه « الأمير ارغون آقا » ، حكم البلاد الفارسية من قبل سلاطين المغول فى الفترة من سنة ٦٤١ حتى سنة ٦٥٤ . وهى السنة التى قدم فيها « هولكو » الى ايران ، وعندئذ سلم ارغون زمام الأمور لهولكو .

(١٧) يقع جهانكشائى فى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول : فى تاريخ اقوام المغول وعاداتهم وفتوحات جنكيزخان فى العالم الاسلامى وتاريخ بعض خلفاء جنكيز . والجزء الثانى : فى تاريخ الخوارزميين وغيرهم من الدول التى اجتاحتها المغول فى منطقتى تركستان وما وراء النهر . والجزء الثالث : فى تاريخ « منكوقان » ومسير اخيه هولكو الى ايران . ويستطرد فى ذكر تاريخ الاسماعيلية فى الموت ، فيشرح تاريخ مذهبهم وتطوره ، وحملة هولكو عليهم ، ويختتم هذا الجزء بذكر آخر ملوك الاسماعيلية وانقراضهم على يد هولكو سنة ٦٥٥ . وقد قام كاتب هذه السطور بترجمة القسم الخاص بالاسماعيلية الى اللغة العربية . ونشره ضمن كتابه « دولة الاسماعيلية فى ايران » طبع مصر ١٩٧٥ م .

(١٨) راجع مقدمة القزوينى لكتاب جهانكشائى ج ١ ص ١ ق وما بعدها .

(١٩) جهانكشائى ج ٣ ص ١٠٠ ، طبع ليدن ١٩٢٧ م .

ومنذ ذلك الحين أصبح علاء الدين من خواص الملازمين والكتساب لهولاكو ، ومن المقربين اليه .

ولقد تحدث علاء الدين صراحة فى كتابه « تاريخ جهانكشاي » عن أنه كان يلزم هولاكو بصفة دائمة أثناء حملته لاستئصال الاسماعيليه ، وأنه كان صاحب الفضل فى انقاذ مكتبة قلعة ألوت - عاصمة دولة الاسماعيليه فى ايران - من الاحراق والدمار ، واستخرج منها كتابا مفيدا للغاية فى تاريخ الاسماعيليه فى تلك المنطقه ، كتبه الاسماعيليه بأنفسهم بعنوان « سرگذشت سيدنا » أى سيرة سيدنا ، وقد نقل علاء الدين ملخصا لهذه السيرة فى الجزء الثالث من تاريخه « جهانكشاي » (٢٠) .

ولما فرغ هولاكو فى سنة ٦٥٥ من الاسماعيليه ، اتجه بجيوشه صوب بغداد للقضاء على الخلافة العباسيه ، وكان علاء الدين فى زمرة أصحابه (٢١) . وظل فى خدمة هولاكو الى ان انتهى من غزو بغداد ، وقتل الخليفة العباسى المستعصم .

### تبرير الواقعة :

لا بد لنا من مناقشة علاء الدين - وهو السننى المحافظ - فيما أقدم عليه من مصاحبة هولاكو فى حملته للقضاء على الخلافة العباسيه فى بغداد ، التى كانت تمثل قيادة المعسكر السننى فى العالم الاسلامى ، فهذه المصاحبة تتضمن موافقة من جانب علاء الدين على الوسائل التى توصل بها الغازى المغولى لغزو بغداد ، والنتائج التى حققتها الحملة فى النهاية .

والواقع أن علاء الدين لم يشأ أن يظهر للناس أنه يرى بأسا بانتصار

---

(٢٠) راجع كتابنا : دولة الاسماعيليه فى ايران . حيث قمنا بترجمة النص الذى نقله علاء الدين عطا ملك الجوينى من « سرگذشت سيدنا » الى اللغة العربيه من ص ١٥٠ - ٢٢٥ ، طبع مصر ١٩٧٥ م . انظر فيما سبق حاشية رقم : ١٧ .

(٢١) جامع التواريخ . طبع كاترمز ص ٢٦٤ ، يعادل ص ٢٨١ - ٢٨٢ من الترجمة العربيه لجامع التواريخ . ترجمه عن الفارسيه الدكتور يحيى الخشاب ، والدكتور فؤاد الصياد والأستاذ صادق نشأت . طبع مصر ١٩٦٦ م .

المغول على خلفاء بنى العباس ، والقضاء على الخلافة فى بغداد ، وانما عد ذلك من سذن الله فى الكون ، وآياته فى الخلق ، فقال فى رسالته « تسليية الاخوان » : « لما انتزع حاكم دار الملك بحكم الآية الكريمة : « مؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء » ممالك العراق وبغداد ، وخوزستان من خلفاء بنى العباس ، وأسلمها لسلطان الدنيا هولاکو ، وأودعه اياها ٠٠ الخ « (٢٢)

فالمغول اذن - وهم من الكفار الذين لا يعرفون الله عز وجل ولا يعبدونه - قد اتوا لانقاذ حكم الله فى القضاء على تلك الخلافة التى لم يعد لها من الاسلام الا الشئ اليسير .

والواقع أن هذه النظرة انما تنطوى على رؤية تاريخية مبنية على النظرة القرآنية الى ظهور الدول وزوالها . والحق أنه كان لا بد لعلاء الدين أن يفلسف هذا الموقف على أنه قضاء الله تعالى وقدره ، والا فكيف يستطيع أن يبرر اصطحابه لهولاکو فى هجومه على بغداد ؟ ألم يكن بإمكانه أن ينتحل الأعذار ويتخلف عن هولاکو فى حملته تلك ، حتى تبرأ ذمته أمام الله عز وجل وأمام الناس ؟ ألم يكن بإمكانه أن يقوم ، ولو بمحاولة يائسة لاقناع هولاکو بالتخلى عن غزو بغداد ؟ لاسيما وأننا قد شاهدنا أحد المتجمين فى بلاط هولاکو يبذل وسعه لايقاف الهجوم ، ويعمل على بث الخوف والذعر فى قلوب المغول من مغبة قضائهم على خلفاء بنى العباس . ان يحدثنا صاحب كتاب « جامع التواريخ » عن رجل يسمى « حسام الدين المنجم » صاحب هولاکو لكى يتخير له أوقات السعد فى حله وترحاله ، أشار على هولاکو بقوله : « ان الهجوم على أسرة الخلافة ، وتجريد الجيش الى بغداد أمر ليس فيه من البركة شئ ، فما من أحد حتى وقتنا هذا حمل على بغداد والعبياسيين الا وخسر ملكه وحياته معا ، وان لم يصغ السلطان - هولاکو - لكلامى وأصر على الهجوم ، فلا بد من ظهور الفساد على ستة أوجه :

- الأول : أن تنفق الخيل كلها ، ويصاب الجند بالأمراض .
- الثانى : ألا تشرق الشمس .
- الثالث : أن لا ينزل المطر .
- الرابع : أن تهب ريح صرصر عاتية وتزلزل الأرض ، فيعم الدمار العالم .

### الخامس : ألا ينبت نبات من الأرض .

السادس : أن يموت الامبراطور الكبير - فى قراغورم - فى تلك السنة .

غير أن هولوكو - لاصراره على فتح بغداد - طلب رأى السيد نصير الدين الطوسى ، الذى كان يرافقه أيضا فى هجومه على بغداد ، فقال نصير الدين : « لقد اتفق الجمهور وأهل الاسلام على أن عدا كبيرا من كبار الصحابة قد استشهد ولم يظهر بسبب موتهم فساد ، فان قيل هذا خاص بالعباسيين وحدهم فالجواب أن « طاهر » (٢٣) قد حكم خراسان ، وقتل أخوه محمد الخليفة الأمين . أما المتوكل فقد قتله ابنه بعد أن تأمر مع أمراء الجيش . وراح كل من المنتصر والمعتز ضحية لأمراء الجيش الذين قضوا عليهم ، وعلى هذا المنوال راح عدد من الخلفاء ضحية القتل والاعتقال ، ولم يظهر أى فساد أو خلل بقتلهم » . فسر هولوكو برأى نصير الدين وانبسط خاطره .

ألم يكن بإمكان علاء الدين عطا ملك أن يقوم بمحاولة مماثلة لمكى يبرىء نمته ؟ من الواضح أنه لم يفعل ، وأراد أن يبرر موقفه المتناقض هذا بقوله : « انها ارادة الله عز وجل » .

غير أن علاء الدين لم يكن كنصير الدين الطوسى ، فلقد كان علاء الدين سنيا محافظا ، بينما كان نصير الدين شيعيا اثنا عشرى . عاش مع الاسماعيلية فترة ، فبدا وكأنه أصبح اسماعيليا ، كان علاء الدين عطا ملك أولى بأن يحرص على الابقاء على الخلافة ، لكنه - على كل حال - لم يعمد - مثلما فعل نصير الدين - الى التحريض على تدميرها .

ويبدو أن علاء الدين ظل يشعر بينه وبين نفسه بأنه ، وان لم يكن مسئولا عما حدث ، فهو على الأقل قد حضر الواقعة ، وشهد الحدث ، ذلك أنه توقف فى تأليف كتابه « جهانكشاي » عند سنة ٦٥٥ ، فساق الأحداث حتى القضاء على الاسماعيلية الملحدون فى « الموت » ، ولكنه لم يستطع أن يدون بقلمه أحداث فتح بغداد ، أو يخط بقلمه وقائع انقضاء الخلافة ، وهى

(٢٣) يعنى به طاهر ذا اليمينين . مؤسس الدولة الطاهرية فى خراسان وما حولها.

الوقائع التي ثقلت على قلوب المسلمين من أهل السنة ، فصعب عليه نعى الاسلام والمسلمين .

أما نصير الدين فقد كان - بمقتضى عقائده المذهبية (٢٤) ، من ناحية ، وتكوينه العلمى من ناحية أخرى - قابلاً للصدث ، مطيقاً لمقتضياته ، مسلماً بنتائجه ، ولذلك كُتِبَ رسالة بعنوان « كيفية واقعة بغداد » (٢٥) طاوعته فيها نفسه على أن يشرح الواقعة ونتائجها بالتفصيل .

لكنه يبدو أن كلا الرجلين - علاء الدين عطا ملك الجوينى ، ونصير الدين الطوسى - كانا مقتنعاً بنفس المنطق ، وهو أن انقضاء الخلافة كان قضاء من الله عز وجل ، حتى وان كان قد تم على أيدي مجموعة من الكفرة البرابرة ، فهم يمثلون غضب الله وسخطه . فلقد وردت هذه الفكرة فى رسالة عربية كتبتها بنفسه نصير الدين الطوسى ، وبعثها على لسان هولاء الى أهل الشنم ؛ يهددهم بالفناء التام اذا لم يستسلموا ، يردد فيها نفس الفكرة ، فيقول على لسان المغول :

اعلموا أنا جند الله ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل عليه غضبه ، لا نرق لشاك ، ولا نرحم عبدة بآك ، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا ٠٠٠ دعاؤكم علينا لا يستجاب ، لأنكم أكلتم الحرام وأظهرتم البسوع ، وحنثتم بالأيمان ، وضيعتم الجمعة ، وتنافرتم بالحسد والطغيان ، فاستبشروا بالمدلة والهوان ٠٠٠ وقد ثبت عندكم أننا كفرة ، وحق عندنا أنكم فجرة » (٢٦) .

(٢٤) راجع : مناقشة هذه القضية فى رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح بدوى : المذهب السننى فى المشرق الاسلامى من القرن الخامس الهجرى حتى سقوط بغداد . رسالة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة ( ١٩٧٨ م ) ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٢٥) ألحق النساخ تلك الرسالة بالجزء الثالث من « تاريخ جهانكشاي » ونشرت مع ذلك الجزء عندما صدر فى ليدن سنة ١٣٥٥ هـ ( ١٩٣٧ م ) بتحقيق الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى .

(٢٦) هذه الرسالة مخطوطة محفوظة بمكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة بغداد ، برقم ٩٧٥ . وقد نشرها محققنا الدكتور عبد الأمير الاعسم ضمن كتابه « الفيلسوف نصير الدين الطوسى » ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١٥٧ وما بعدها .

- ١٢ -

وهكذا بدا لنا كلا الرجلين قد نظر الى القضية نفس النظرة تقريبا ،  
برغم اختلاف منطلقاته ودوافعه عن الآخر .

ولعل علاء الدين قد أيقن - في وقت من الأوقات قبل فتح المغول بغداد -  
أن الغزو المغولي لا يمكن إيقافه بأي شكل من الأشكال مع انعدام القوة  
الاسلامية ، ومن ثم عمد الى مسابرة المغول والعمل معهم ، خوفا على نفسه  
أو طمعا في أن يأتي يوم من الأيام تعود فيه الأمور لنصابها ، والبيضاسة  
لأصحابها .

وربما شعر علاء الدين بعقدة الذنب ، وثقل الوزر ، لمصاحبة الغازي  
المغولي في قضائه عنى الخلافة ، لكنه أخفى هذا الشعور ، الذي ظل يظهر  
على السطح كل مدة لاسيما بعد أن تولى علاء الدين حكم بغداد ، كما سنرى .

---

## ٢ - علاء الدين - وحكمه لبغداد

### الجوينيون بمسكون بأزمة الإدارة فى الدولة الإبلخانية :

فى سنة ٦٥٧ ، وبعد مضى عام واحد على انقضاء الخلافة العباسية ، عهد هولوكو الى علاء الدين بحكومة بغداد ، يقول : « لما انتزع حاكم دار الملك - بحكم الآية الكريمة : تؤتى الملك من تشاء ، وتنتزع الملك ممن تشاء - ممالك العراق وبغداد ، وخوزستان من خلفاء بنى العباس ، وأسلمها لسلطان الدنيا هولوكو وأودعه اياها ، عهد السلطان فى شهور سنة سبع وخمسين وستمائة - بعد مرور عام على فتح بغداد - عهد الى محرر هذه الأحوال (يعنى نفسه ) بتدبير مصالح تلك الممالك ومهامها ، وأطلق يده فى حل وعقد الأمور ، ورتق وفتق مصالح الجمهور » (٢٧) .

وفى أوائل سنة ٦٦١ اتخذ هولوكو قرارا آخر بشأن أخى حاكم بغداد شمس الدين محمد الجوينى ، ففوض اليه الوزارة ، وهو المنصب الذى كان يعرف عندئذ باسم « صاحب ديوان المالك » وأطلق يده فى تصريف أمور الدولة وتسييرها (٢٨) . فكان هذا ايدانا بصعود نجم هذه الأسرة فى فلك الدولة الإبلخانية المغولية فى ايران .

كان هولوكو - بعد أن أسقط الخلافة العباسية فى بغداد وقفل راجعا صوب الشرق - قد عزم على الاستقرار فى ايران ، وتكوين ملك يتوارثه أبناؤه من بعده ، على أن يظل هذا الملك تابعا للامبراطورية المغولية الرئيسية فى « قراقورم » ، فتأسست بذلك دولة الإبلخانيين المغول فى ايران . ولم يكد الأجل المحتوم يوافى هولوكو فى سنة ٦٦٣ ، حتى تم لقادة المغول فى المنطقة اختيار ابنه « أباقا » ليتولى العرش بعده .

(٢٧) رسالة تسلية الاخوان ، نسخة المكتبة الأهلية ببائيس ، ق ٢٢٢٣  
وهذا يعنى أن ما ذكره المؤرخ رشيد الدين فضل الله الهمداني فى كتابه : « جامع التواريخ » من أن علاء الدين تولى حكم العراق فى سنة ٦٦١ ، لا أساس له من الصحة على اعتبار أن علاء الدين أدرى بالأحوال ومجريات حياته من غيره . راجع : جامع التواريخ طبع كاترم ص ٣٩٤ ، ٤٠٢ ، تعادل ص ٣٣٨ من الترجمة العربية .  
(٢٨) جامع التواريخ ، طبع كاترم ، نفس المواضع .

وسار أباقا على نهج سلفه فى التمكين لأسرة الجوينى ، فأبقى شمس الدين محمد الجوينى فى منصب الوزارة ، وأجرى تعديلا فى المنصب الذى يتولاه علاء الدين عطا ملك فأسند ملك بغداد وفارس الى أحد أمراء المغول الكبار ، واسمه « سونجاق » ، وجعل علاء الدين نائبا عن ذلك الأمير ، كما عين لفارس والعراق العجمى نائبا من أسرة الجوينى ينوب فى حكمها عن الأمير « سونجاق » ونعنى به بهاء الدين محمد بن الوزير شمس الدين الجوينى (٢٩) .

وظل علاء الدين عطا ملك طيلة عهد أباقا - من سنة ٦٦٣ حتى سنة ٦٨٠ أى طيلة سبعة عشر عاما - الحاكم الفعلى المطلق لبغداد وكّل العراق العربى ، وإن كان يحكم - فى الظاهر - نائبا عن الأمير « سونجاق » .

#### جهود ملحوظة للنهوض بالعراق :

ربما انتهز علاء الدين فرصة حكمه لبغداد والعراق العربى لكى يكفر عن خطيئته التى ارتكبها بمصاحبته لهولاكو عند غزو بغداد ، فبذل جهدا كبيرا لكى يتخلص من عقدة الذنب هذه ، وصرف كل همه لتعمير البلاد ، وراحة العباد ، وأسقط عن كاهل الفلاحين مغارم كثيرة ، وبذل غاية جهده فى انشاء القرى والمزارع وقنوات الري ، وأمر بحفر نهر فرعى من الفرات يبدأ من مدينة الأنبار - غرب بغداد - وينتهى الى الكوفة والنجف (٣٠) ، وبلغ قيمة ما أنفقه علاء الدين فى حفر هذا النهر مائة ألف دينار من الذهب الإبريز (٣١) ، وأنشأ مائة وخمسين قرية على امتداد شاطئ ذلك النهر (٣٢) . فتحوّلت المنطقة الواقعة بين الأنبار والكوفة - وكانت بلقعا لا زرع فيها ولا ضرع - الى منطقة تكسوها الخضرة وتتعانق فيها الأشجار .

كما أنشأ مدرسة ورياطا بجوار مشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب

(٢٩) جامع التواريخ - طبع كاتمر ، أيضا .

(٣٠) تاريخ الاسلام للذهبي ، النسخة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢ تاريخ ، ج ٢٢ ، ورقة ٦ .

(٣١) تاريخ وصاف ، طبع بمبائى ، ص ٥٩ .

(٣٢) تاريخ الاسلام للذهبي ، النسخة المذكورة ، ورقة ٦ .



- رضى الله عنه - فى النجف (٣٣) . ولم يمض وقت طويل حتى سار العراق العربى عامة ، وبغداد خاصة ، بخطى واسعة نحو العمران ، وتضاعف دخله وعمر سواده (٣٤) . بعد أن كان قد تحول الى خراب من اثر الغزو المغولى .

ولقد بالغ بعض الناس وقال : عمر صاحب الديوان - علاء الدين عطا ملك الجوينى - بغداد حتى كانت أجود من أيام الخلافة (٣٥) .

ولقد كان علاء الدين فخورا بما عمل من أجل العراق وأهله ، ويأنه استطاع خلال مدة حكمه أن يعيد بناء العراق من جديد ، فهو يقول فى رسالة « تسليية الاخوان » التى ألفها فى سنة ٦٨٠ ، أى بعد ثلاث وعشرين سنة من حكمه لبغداد : « ولقد علم الخاص والعام أننا منذ أن باشرنا مصالح تلك البلاد أخذ العمران فيها يتزايد عاما بعد عام ، وتم كف أيدي المعتدين عن المنطقة بأسرها ، ولم يمض زمن طويل حتى عمرت الأراضى البور ، وجرت الأنهار السسواقى ، وأضحى الخير دارا والبركة عامة فى تلك الديار ، وتضاعفت الأموال الديوانية وكثرت ، وتجمع الناس من البقاع القريبة والبعيدة ، واستقروا فيها ، وأقاموا بها الأبنية والبيوت والدور ، فصارت أكثر الخرائب عامرة .

ان آثارنا (٣٦) تدل علينا : فانظروا بعدنا الى الآثار .» (٣٧)

(٣٣) رسالة تسليية الاخوان ، ورقة ٢٢٣ . وانظر أيضا :

تاريخ الاسلام للذهبي ، النسخة المذكورة ، ورقة ٧ . والرباط ، بالاضافة الى أنه يعنى محط زحال القافلة ، فانه يأتى أيضا بمعنى الموضع الذى يقيم فيه العلماء والصوفية ( كالحانقاه ) ، كما يرد أيضا بمعنى المكان الذى ينزل فيه الفقراء من الطلاب وغيرهم .

انظر محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، مقدمة تاريخ جهانكشائى ج ١ ص لب .  
 طبع ليدن سنة ١٩١١ م .

(٣٤) تاريخ الاسلام للذهبي ، النسخة المذكورة ، ورقة ٧ .

(٣٥) أيضا .

(٣٦) فى الأصل : آثار ما .

(٣٧) رسالة تسليية الاخوان ، ورقة ٢٢٣ .

### علاء الدين والنصارى في بغداد :

ويبدو أن أهل بغداد - وربما أهل العراق العربى جميعا - لم يكن يهتمهم أمر الاصلاحات الاقتصادية والتوسع العمرانى فى بلادهم بقدر ما كان يهتمهم أمر دين الاسلام ، ويقدر ما كان يهتمهم موقف، حاكم العراق من قبل المغول تجاه هذا الدين ، ذلك أن رئيس النصارى النسطورية فى بغداد (٣٨) قد أقدم على فعلة شنعاء فى حق الاسلام والمسلمين ، عندما قبض على رجل تحول منذ مدة عن النصرانية الى الاسلام ، وأراد اغرقه فى نهر دجلة . كان لا بد لعلاء الدين - حاكم البلاد - أن يحسم الموقف ، ولكن يبدو أنه تردد متباطأ فى اتخاذ الاجراء المناسب (٣٩) ، وعند ذلك ثار أهل بغداد فى وجه علاء الدين ، والتفوا حول قصره مهدين متوعدين ، فما كان منه الا أن أرسل الى رئيس النصارى يطلب اليه اطلاق سراح الرجل ، فامتنع ، فتحول الناس الى منزل ذلك الرئيس ، عازمين على الانتقام منه بتقطيعه اربا . ويبدو أن علاء الدين خشى أن تدب الفتنة ويتسع الخرق على الراقع، فبادر لارسال جماعة من جنده فأحضروا الجاثليق خفية، وأدخلوه الى القصر من أحد الابواب السرية المشرفة على نهر دجلة ، فألقوه بذلك من هلاك محقق - وتجنب اندلاع نيران فتنة يروح ضحيتها آلاف الأبرياء .

---

(٣٨) هو الجاثليق المسمى : دنه ، . كما يشير أبو الفرج ابن العبرى الذى ألف كتاب « التاريخ العام » باللغة السريانية ، وكان مقيما فى « مراغة » كما كان معاصرا لعلاء الدين عطا ملك ، واسم هذا التاريخ :  
Be-Hebraeas Chronican syriacum

وعنه نقل « كاترمير » هذه الفقرة فى كتابه « الكنوز المشرقية » ص ٢٢٥ - ٢٢٦ . انظر أيضا : الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى . مقدمة تاريخ جهانكشاي ، ص : ليج .  
أما صاحب كتاب الحوادث الجامعة فى المائة السابعة فيشير الى أن هذا الجاثليق يسمى « مرمليخا » ( ص ٣٥٤ ) ، وفى مقانيع العلوم للخوارزمى ( ص ١٢٩ ) أن « القاثوليق » وهو الجاثليق ، يكون تحت يد البيطريق ، ومقامه . . . ببلد العراق مدينة السلام .  
(٣٩) كان الجاثليق « دنها » يحظى برعاية « أباقا خان » نفسه ، الذى حرص خلال فترة حكمه على التقرب لأباطرة المسيحية فى أوروبا نكاية فى الاسلام ، ولذلك كان « دنها » قد حظى فى عهد أباقا بنفوذ كبير . انظر عباس اقبال . تاريخ مغول . طبع طهران ١٣٤٧ هـ ، ص ٢٠٤ . وربما كان علاء الدين يراعى فى تعامله مع دنها نفوذ هذا الجاثليق لدى السلطان المغولى .

وربما حفظ النصارى فى بغداد هذا الصنيع لعلاء الدين ، فتلقد أنقذ أحد رؤسائهم من موت محقق ، وأخذ نائرة فتنة طائفة كانوا هم الطرف المستضعف فيها ، أما الطرف الآخر فهم المسلمون الذين لا بد وأنهم كانوا - فى ذلك الوقت - يتحرقون شوقا ، ويتلمسون منقذا للمتعبير عن نفوسهم المكلمة منذ غزو المغول لبغداد ، وهى فتنة لا يعلم الا الله المدى الذى كان يمكن أن تصل اليه . ولكن علاء الدين تعرض فى سنة ٦٦٨ لمحاولة اغتيال توهم الناس أنها من صنع بعض النصارى ، يقول صاحب كتاب « الحوادث الجامعة » : « وفى خامس عشرين من جمادى الآخرة ( سنة ثمان وسقن وستمائة ) ، ركب علاء الدين صاحب الديوان لصلاة الجمعة ، فلما وصل الى المسجد ٠٠٠ ، نهض عليه رجل وضربه بسكين عدة ضربات ٠٠٠ وأحضر الطبيب ، فسبر الجرح ومصه فوجده سليما من السم ، وأحضر الجراح ، وسئل عن موضعه ، فلم يقل شيئا وعاجله الموت ، لكن توهموا أن ذلك بوضع بعض النصارى » (٤٠) ولم يلبث علاء الدين أن تماثل بعد ذلك للشفاء .

---

(٤٠) كتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » المنسوب الى كمال الدين أبى الفضل عبد الرازق بن الفوطى البغدادي ، طبع بغداد سنة ١٩٣٢ م ، ص ٣٦٦ ، ويرى كاترمز فى الكنوز المشرقية ، ص ٢٢٦ ، ويتابعه محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى مقدمة جهانكشاي ج ١ ص ل٦ ، اعتمادا على التاريخ السريانى لابن العبرى ، أن الذين قاموا بمحاولة الاغتيال انما هم جماعة من الملاحدة الاسماعيلية . غير أنه يبدو أن رواية صاحب الحوادث الجامعة أرجح لأن الاسماعيلية كان قد قضى عليهم منذ وقت ليس بقليل ، وانقطعت عن الناس اغتالاتهم .

## ٢ - وشابات وعداوات

ولقد بلغت المدة الاجمالية التى حكم فيها علاء الدين عطا ملك بغداد قرابة الأربع والعشرين سنة ، منها : نحو ٦ سنوات فى عهد هولكو من سنة ٦٥٧ الى سنة ٦٦٢ . وسبعة عشر عاما طيلة حكم أباقا من ٦٦٢ - ٦٨٠ . ونحو سنة واحدة فى عهد أجمد تكودار من ٦٨٠ - ٦٨١ .

وخلال هذه الفترة الطويلة من حكم بغداد ، تعرض علاء الدين للعديد من محاولات الأعداء والوشاة بهدف عزله والقضاء عليه ، غير أن المكانة الرفيعة التى احتلتها أسرة الجوينى - أو بالأحرى أسرة صاحب الديوان - فى دولة المغول وقفت بين هؤلاء الأعداء والوشاة وبين تحقيق مآربهم (٤١)

ولقد اختلفت جنسيات هؤلاء الوشاة ومذاهبهم ، بقدر ما اختلفت وسائلهم ، لكن هدفهم - فى نهاية الأمر - كان هدفا واحدا ، هو الاطاحة بعلاء الدين عطا ملك وازاحته من منصبه المرموق .

ومن بين هؤلاء الوشاة رجل يقال له « قرابوقا » ، ويبدو من اسمه أنه مغولى ، شغل منصب « شحنة بغداد » واتخذ لنفسه نائبا يسمى « اسحاق الأرمنى » ، وقد اشترك الرجلان فى التآمر على علاء الدين ، وأرادا أن يوجها اليه تهمة من أشنع التهم عند المغول ، للتخلص منه نهائيا ، فقد اتفقا مع أحد الأعراب على أن يشيع بين الناس أن حاكم بغداد قد استدعاه من البادية وطلب اليه أن يكون له دليلا يدل على طريق غير مطروق يتجه نحو الشام ، حيث أن صاحب الديوان يعترزم الانطلاق بنفسه وأولاده وأمواله لاجئا الى المالك .

كانت العلاقات بين الدولتين المغولية فى ايران والمملوكية فى مصر والشام فى أشد حالات الهياج والتوتر ، ويبدو أن المغول كانوا أكثر حساسية من المالك فى هذا الصدد ، فقد شعروا بعداء شديد وبغض دفين تجاه المالك . وأيقنوا أن أهم ما يتعين عليهم انجازه انما هو ايقاع الهزيمة

(٤١) انظر : محمد بن عبد الوهاب القزوينى - مقدمة تاريخ جهانكشاي ، ج ١

بهؤلاء المماليك والقضاء على دولتهم فى مصر والشام ، وأعطوا هذا الهدف الأولوية على كل ما عداه ، فركزوا جهودهم لرفع استعدادهم العسكرى والنفسى الى درجة تمكنهم من الثأر لهزيمتهم أمام أولئك المماليك فى موقعه عين جالوت ، تلك الموقعة التى حطمت آمالهم فى السيطرة على العالم القديم كله ، وردتهم على عقابهم الى العراق بعد انسياحهم فى الشام وفلسطين . ولذلك ، طانطلاقا من هذه الحساسية ، كانت أقل شبهة اتصال بالمماليك كقيلة بأن تورد صاحبها - مهما بلغ شأنه - موارد الهلكة ، وتعرضه ، وتعرض كل من يمت إليه بأية صلة ، للهلاك المحقق .

أراد « قرابوقا » ، واسحاق الأرمنى استغلال هذه الحساسية لدى حكام المغول للايقاع بعلاء الدين صاحب الديوان ، فجاء بهذا الاعرابى - الذى أخذ يبيت اشاعته المسمومة هنا وهناك ، وحاصرا قصر علاء الدين ثم اعتقاله ، وذهبا به - وبصحبته ذلك الاعرابى - الى بلاط « أباقا » الذى حرص - لبشاعة هذه التهمة - أن يحقق بنفسه فى الأمر ، لكن الاعرابى ما لبث أن اضطرب فى دولة المغول وفتت حائلا بين هؤلاء الأعداء والوشاة وبين تحقيق الأرمنى هو المعرض الأصلي له ، فأمر السلطان بقتلهما (٤٢) ، وأطلق سراح علاء الدين .

على أن محاولات الايقاع بعلاء الدين عطا ملك ، لم تقتصر على موظفى الديوان الطامعين فى منصبه ، أو العاملين على التخلص من رقيبته الصارمة ، وإنما امتدت لتشمل بعض الأشراف الذين ينتمون الى العترة الطاهرة ، وينتسبون الى الأسرة النبوية الشريفة . فلقد عمل الشريف تاج الدين على بن محمد العلوى ، المعروف بابن المظطفى (٤٣) ، على ازاحة علاء الدين من

---

(٤٢) أبو الفتوح بن العبرى - تاريخ مختصر الدول ( وهو مختصر باللغة العربية من التاريخ السريانى السابق الذكر قام أبو الفرج بتلخيصه بنفسه ) . طبع بيروت ١٨٩٠ م ، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

وانظر أيضا : الحوادث الجامعة ص ٣٥٢ .

(٤٣) هو أبو صفى الدين محمد بن المظطفى ، مؤلف كتاب : « الفخرى فى الآداب السلطانية » ونلاحظ آثار عداة المؤلف لعلاء الدين عطا ملك الجربى فى أكثر من موضع فى ذلك الكتاب . فحينما يرد ذكر لعلاء الدين ينبرى ابن طباطبا للرد عليه وتكذيبه راجع كتاب الفخرى ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ص ١٢ - ١٣ ، ٢٨ ، ٧٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ . وانظر فيما سبق ص : ٥ .

منصبه كحاكم لبغداد . وكان الشريف تاج الدين « قد ساعدته الأقدار حتى حصل من الأموال والعقار والضياع ما لا يكاد يحصى . ومن غرائب الاتفاقات التي حصلت له أنه زرع في مبادئه أحواله زراعة كثيرة في أملاك الديوان ، وهو إذ ذاك صدر البلاد الفراتية ، وأحرز ما تحصل له من الغلات في دار كان قد بناها ولم يتمها ، وقصل حسابه مع الديوان ، وقد بقي له بقية صالحة من الغلات ، فأصاب الناس قحط شديد ، وسعر النقيب تاج الدين في بيع الغلات ، فباع بالأموال ، ثم بالأعراض ، ثم بالأملاك ، وكان يضرب به المثل بذلك الغلاء ، فيقال غلاء ابن الطقطقى ٠٠٠ الخ ، (٤٤) .

ويبدو من هذا النص أن الشريف تاج الدين كان على صلة بأعمال الديوان التي يشرف عليها صاحب علاء الدين عطا ملك ، فلقد كان الشريف يستأجر أراضى زراعية من الديوان ، ويحقق من وراء ذلك أرباحا طائلة ، ولكننا لا نعرف السبب الذي أدى بهذا الشريف الى معاداة صاحب الديوان ، والوشاية به ، ومحاولة التخلص منه ، فلقد ورد في « عمدة الطالب » عن النقيب تاج الدين « ٠٠٠ وترقى أمره الى أن كتب الى السلطان أبا بن هولكو في عزل صاحب الديوان ( يعنى علاء الدين عطا ملك ) واقامة عوضه ، ووعده بأموال جزيلة ، وإشارة ، وكفايات غريبة . فوقع كتابه الى الوزير شمس الدين الجوينى أخى صاحب الديوان عطا ملك ، فأخذ قرطاسا وكتب فيه :

كم لى أئبه منك مقلة نائم

يبدى سباتا كلما نبهته

فكأنك الطفل الصغير بمهده

يزداد نوما كلما حركته

وعندئذ صمم علاء الدين على الفتك بابن الطقطقى ، فحرض جماعة على قتله ، ففتكوا به « وهربوا الى موضع ظنوه مأمنا ، أمرهم بالمصير اليه صاحب الديوان ، فخرج صاحب الديوان من ساعته الى ذلك الموضع ، فقبض على

(٤٤) جمال الدين أحمد بن على بن عنبة الحسينى العلوى : عمدة الطالب فى

انساب ابي طالب ، طبع بومباى سنة ١٣١٨ هـ ، ص ١٦٠ .

أولئك الجماعة ، وأمر بهم فقتلوا ، واستولى على أموال النقيب وأملاكه  
ودخائره ، (٤٥) .

على أن صاحب كتاب « الحوادث الجامعة » يذكر حادثة قتل تاج الدين  
ابن الطقطقى باقتضاب ، ولا ينسب قتله الى عطا ملك الجوينى (٤٦) .

ومهما يكن من أمر ، فقد بدا الوزير شمس الدين الجوينى عينا ساهرة  
على أخيه علاء الدين ، يرقب الأحداث التى تجرى لى بغداد بكل همة ويقظة ،  
ولا يغفل عن متابعة المؤامرات التى تحاك ضد أخيه علاء الدين ، خشية أن  
يأتى يوم لا ينفخ فيه الندم ، فلقد كان شمس الدين على يقين من أن مؤامرة  
واحدة لن تعرض - إذا قبيض لها النجاح - حياة علاء الدين وحده للخطر ،  
بل تستأصل أسرة الجوينى بأسرها ، وتقضى على أفرادها أجمعين ، وهذا  
ما حدث بالفعل فى النهاية لأسرة الجوينى .

ولذلك كان شمس الدين محمد الجوينى حريصا ككل الحرص على  
ألا تنجح هذه المؤامرات ، وكان منصبه كوزير للسلطان يمكنه من أن يقف  
سدا منيعا للحيلولة دون تسرب تلك المؤامرات ووصولها الى السلطان .  
ولا شك أن علاء الدين عطا ملك كان يعتمد على أخيه اعتمادا كلياً فى هذه

---

(٤٥) عمدة الطالب أيضا - وانظر أيضا : مقدمة كل من أهلورد ، ودرنوبورغ فى  
ظبعتهما لكتاب الفخرى فى الآداب السلطانية ، فقد أوردا هذا النص بتمامه نقلا عن  
عمدة الطالب .

(٤٦) راجع الحوادث الجامعة ، حواش سنة ٦٧٢ ، ص ٢٧٧ .

### منافس خطير للجوينيين :

لكن حدث ما لم يكن فى حسابان علاء الدين وأخيه شمس الدين ، فلقد برز منافس خطير فى الميدان ، أقض مضجعهما ، واستطاع - فى براعة ومهارة - أن يتسلل بعيدا عن متناول الوزير شمس الدين ، ويصبح بين يوم وليلة من المقربين الى السلطان وخاصته من كبار الأمراء ، ويحتل مكانة تؤهله للتأثير على القرارات التى يصدرها السلطان نفسه .

لم يكن هذا المنافس الخطير سوى مجد الملك اليزدى (٤٧) ، الذى ينتسب الى « يزد » من بلاد الفرس ، وهو ينتمى الى أسرة توارثت أعمال الديوان ووظائفه ، فلقد تقلد أبوه المسمى « صفى ملك » منصب الوزارة لأتابكة يزد (٤٨) . وقد التحق مجد الملك بخدمة السيد بهاء الدين ابن الوزير شمس الدين الجوينى فى اصفهان ، وما لبث أن تدرج فى ذلك الجهاز الهائل الذى تشرف على ادارته أسرة الجوينى ، حتى ولاه الوزير شمس الدين نفسه مناصب رفيعة فى الدولة .

غير أن مجد الملك بدلا من أن يشكر اليد التى امتدت اليه بالمعون والمساعدة والانععام ، بدأ يضمرك الكيد لأصحابها والنيل منهم ، وأخذ يتطلع الى ازاحتهم من الطريق ، ليحتل هو تلك المكائتة البارزة التى يتمتعون بها فى دولة المغول .

---

(٤٧) ترجم ابن الفوطى لمجد الملك اليزدى فى كتابه « معجم الألقاب » . وقد نقل الترجمة المرحوم الأستاذ محمد رضا الشيببى فى كتابه : « ابن الفوطى مؤرخ العراق » ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٢ .

وانظر أيضا : « تلخيص مجمع الآداب من معجم الألقاب » لابن الفوطى أيضا . تحقيق الدكتور مصطفى جواد - القسم الثانى - من الجزء الرابع ، ص ١٠٣٦ ، حاشية ١ .

(٤٨) انظر : محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، مقدمة كتاب « تاريخ جهانكشاي » ، ص ١٤ ، اعتمادا على كتاب « جامع التواريخ » ، وظن الأستاذ عباس اقبال خطأ أن مجد الملك نفسه كان هو الذى تولى وزارة الاتابكة فى يزد ، .

راجع : عباس اقبال : تاريخ مغول ، طبع طهران سنة ١٣٤٧ هـ ، ش ، ص ٢٦١ .



وواتته الفرصة يوماً ، عندما التقى بمجد الدين بن الأثير (٤٩) ، نائب صاحب علاء الدين عطا ملك . وتطرق الحديث بمجد الدين الى ذكر المماليك في مصر والشام ، وما لدى سلطانهم من شوكة وعظمة ، وما لجيشه من عدة وعتاد . ولم ينتظر مجد الملك ضياع الفرصة ، فسارع الى أحد أمراء المغول الكبار ، وزعم له أن علاء الدين يشعر بولاء شديد للمصريين ، ويتوكل ويتوقع قدومهم الى الأراضى الخاضعة لسيطرة سلطان المغول لتسليمهم مملكة بغداد .

ولم يلبث هذا الادعاء الباطل أن انتقل الى أباقاخان ، الذى أمر بالقبض على مجد الدين بن الأثير وتعذيبه ، فضرب بالسوط خمسمائة ضربة ، ولما لم تثبت ادانته ، سلموه لشمس الدين الجوينى الوزير (٥٠) . وهكذا انتهت الدعوى ، ولم يصب الجوينيون بأى أذى .

غير أن الوزير شمس الدين رأى أنه اذا بالغ فى الاغداق على مجد الملك ، وتناسى فعلته التى فعل ، فربما أدى ذلك الى استماتته الى جانبه ، ودفع شره . فأصدر أمراً يتولى مجد الملك بمقتضاه حكومة « سيواس » فى آسيا الصغرى ، ثم أمر له بمكافأة قدرها عشرة آلاف دينار ، وبالشأ (٥١) من الذهب واللؤلؤ الثمين . لكن مجد الملك - برغم هذا الاغداق والانعام -

---

(٤٩) أخو المؤرخ المعروف عز الدين بن الأثير ، صاحب كتاب الكامل فى التاريخ .

(٥٠) جامع التواريخ ، نسخة المكتبة الاهلية ببـاريس . مخطوطة رقم Suppl. Pers. 209 ورقة ١٣١٢ ، نقلا عن محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى مقدمة تاريخ جهانكشاي ، ص ٦٧ وما بعدها .

وانظر أيضا : الترجمة العربية لجامع التواريخ - المجلد الثانى - الجزء الثانى ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٥١) كانت « البالش » عملة مغولية متداولة فى الصين . من الذهب والفضة والورق ، فى العصر المغولى ، ولكن ليس هناك ما يثبت تداولها فى العراق العربى فى هذا العصر ، انظر : الدكتور جعفر حسين خصباك : أحوال العراق الاقتصادية فى عهد الايلخانيين المغول ( ٦٥٦ - ٧٢٧ ) ، بحث منشور بمجلة كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٦١ ، ص ٣١ . على أنه يبدو من نص جامع التواريخ أن هذه العملة كانت متداولة - ربما على مستوى الأعمال الديوانية - فى المناطق الخاضعة لنفوذ الايلخانيين فى ايران وآسيا الصغرى ، راجع جامع التواريخ ، الترجمة العربية ، م ٢ ج ٢ ص ٧٧ - ٧٨ .

ظل يضمرك الكيد للجوينيين وانتهز فرصة موآتية ذات يوم ، فى سنة ٦٧٨ (٥٢) فتمكّن من الوصول الى حضرة الأمير ارغون ابن السلطان أباقا ، وشكا من أنه يحاول جاهدا منذ أكثر من عام التشرف بمقابلة الأمير ارغون لكى يفضى اليه بحديث طويل ، فيه المصلحة والنفع للدولة ، لكن محاولاته كلها ذهبت سدى بسبب نفوذ الوزير شمس الدين ، فلقد كان الوزير يسارع فى الوقت المناسب لاحتباط كل محاولة عن طريق رشوه الأمراء والمقربين .

ومضى مجد الملك فى كلامه للأمير ارغون قائلا : لقد تحقق عندى أن « كل ما يصل الى خزانة السلطان من كافة أرجاء البلاد لا يكاد يعادل ما حصله صاحب الديوان - يعنى الوزير شمس الدين - الذى وصل به نكران الجميل الى حد أنه تحالف مع مماليك مصر ، فحرض معين الدين بروانه (٥٣) على التآمر مع الملك الظاهر بيبرس البندقدرا (٥٤) ، فأغار على آسيا الصغرى وقتل الكثيرين من أهلها ، وهزم بها جيش المغول هزيمة منكرة (٥٥) ، مما أفضى الى هلاك عدد من كبار أمراء الجيش المغولى الذى كان يحمى آسيا الصغرى ، وها هوذا أخوه علاء الدين قد استخلص مملكة بغداد لنفسه ، واتخذ تاجا مرصعا بالجواهر لا يلبس نظيره الا السلاطين ، وجمع من الخزائن والذخائر والأموال ما يخرج عن نطاق الحصر والعد ، »

وطلب مجد الملك من الأمير ارغون أن يوفر له حماية كافية من أسرة الجوينى ، حتى يتمكن من إقامة الدليل على أن الوزير شمس الدين اشترى

---

(٥٢) جامع التواريخ - النسخة الخطية المذكورة . وانظر أيضا : الترجمة العربية

لجامع التواريخ ص ٧٧ - ٧٨ .

(٥٣) هو معين الدين سليمان بن على الملقب ببراونه ، استولى على الملك فى آسيا الصغرى التى كانت تعرف باسم « بلاد الروم » وصانع المغول وصالحهم . وفى سنة ٦٧٥ أغار الملك الظاهر بيبرس على آسيا الصغرى . وقتل أغلب حكام المغول وأمراءهم ، فاتهم المغول بروانه بمصانعة بيبرس ، فأمر « أباقا » بقتله مع خلق كثير من أهالى آسيا الصغرى سنة ٦٧٦ . وقد قام المغول بقطع أعضائه عضوا عضوا وهو حى ، وألقى فى مرجل وسلق ، وأكله المغول من شدة الغيظ .

انظر ترجمة حياته فى المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، لأبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، نسخة دار الكتب المصرية ( تاريخ ١١١٣ ) ج ٢ ، ورقة ١٢١ب .

(٥٤) هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس - من سلاطين المماليك بمصر والشام ،

وقد تولى الحكم من ٦٥٨ - الى ٦٧٦ .

(٥٥) وذلك فى سنة ٦٧٥ .

أملاكها قيمتها أربعمائة طومان ( = ٤ مليون دينار ) من أموال السلطان ، هذا بالإضافة الى ما يملكه فعلا من أموال وفيرة ، وقطعان ماشية ، وتقدر قيمتها بألفى تومان ( = ٢٠ مليون دينار ) . وقال : « لو أننا عددنا ما فى الخزائن السلطانية من أموال ، مع ما تم الاستيلاء عليه من بغداد وقلاع الملاحدة ( الاسماعيلية ) ، لوجدناه لا يزيد بحال من الأحوال عن ألف تومان ( = ١٠ مليون دينار ) . ونظرا لاطلاعى على هذه الأمور كلها ومعرفتى بها عمل صاحب الديوان – الوزير شمس الدين – على رشوتى فمئنتى حق السكوت فى صورة أمر يقضى بأن أتولى حكومة سيواس ، وبالمشا من الذهب ، ومكافأة قدرها عشرة آلاف دينار » .

شعر أرغون بخطورة هذا الادعاء ، فأبلغه على الفور لأبيه السلطان أباقا ، الذى رأى أن يعالج الأمر بتؤدة وتريث ، فقال لأرغون : « لا تحدث أحدا بما قلت لى ، حتى نندارك الأمر فى روية وأناة » (٥٦) .

وبمضى الوقت ، وفى زحمة المشاغل والملاهى ، نسى أباقا – فيما يبدو – التحقق من مزاعم مجد الملك ، الذى ثابر حتى تمكن ، بمساعدة بعض كبار الأمراء (٥٧) من الوصول الى حضرة السلطان أباقا نفسه ، فى ربيع سنة ٦٧٨ ، وأعاد على مسامعه ما سبق أن قاله للأمير أرغون ، وزاد عليه ، الأمر الذى أثار غضب السلطان على صاحب الديوان شمس الدين الوزير ، فأرسل رسلا الى سائر الممالك والأقاليم ، للقبض على نوابه واحضارهم مع سجلاتهم لدراستها بدقة ومراجعة ما فيها بكل تمعن فى حضرة السلطان نفسه ، حتى يتمكن من الوقوف على واقع الحال .

وعند ذلك ظن مجد الملك أن جهوده الدائبة للنبيل من أسرة الجوينى قد أئبعت ، وحان قطف ثمارها . لكن الوزير شمس الدين بحكم علاقته القوية وصلاته القديمة بأعضاء الأسرة الحاكمة منذ عهد مؤسسها هولكو ،

(٥٦) جامع التواريخ – النسخة المذكورة ص ٣٠٩ – ٣١٠ .

(٥٧) يقول علاء الدين فى « تسلية الاخوان » ورقة ٢٢٣ ١ ان مجد الملك كان على صلة قوية بجماعة من الأمراء المقربين الى الايلخان ، « ولقد كان هؤلاء الأمراء يتطلعون الى أن تفوض اليهم ممالك بغداد ، مما زاد الطين بلة » . ولعل مجد الملك قد وصل الى بلاط أباقا عن طريق تدخل هؤلاء الأمراء .

يعرف كيف يدفع التهم عن نفسه ، ويعرف أين توجد مراكز التأثير والنفوذ ، فاستعان « بأولجاي خاتون » (٥٨) ، زوجة أباقا وكتب على نفسه حجة بأن كل أملاكه وممتلكاته التي اشتراها خلال مدة وزارته إنما هي ملك خاص للسلطان ، لا ينازعه فيها منازع .

وتدخلت أولجاي خاتون في الأمر على الفور ، مستندة إلى هذه الحجة وأخذت تثني على الخدمات الجليلة التي نهض بها صاحب الديوان في سبيل هذه الأسرة الأيلخانية ، وما زالت بأباقا حتى ذهب عنه الغضب ، وأمر بعودة النواب إلى أعمالهم ، وبألا يتعرض لهم أحد . وهكذا أُنقذت أولجاي خاتون صاحب الديوان وأسرة الجوينيين جميعا من تلك الورطة التي كان يمكن أن تكلفهم حياتهم .

#### عنو شأن مجد الملك اليزدى :

واستبد اليأس بمجد الملك ، وشعر أنه إنما ينطح الصخر ، أو يحارب السحاب ، لكنه - في محاولة يائسة - رفع مذكرة إلى أباقا جاء فيها : « إذا كان السلطان قد أنعم على صاحب الديوان ، فهذا يعنى أنه لا أمان لى مته فى أية لحظة ، وانى لأرجو أن يلحقنى السلطان بخدمة واحد من أمراء الدولة ، ليدفع عنى شر الصاحب ، أو يصدر أمره لى بمغادرة هذه الدولة » ، فأجاب السلطان بقوله : « انى وان كنت قد أنعمت على صاحب الديوان ، لم أغضب على مجد الملك ، فعليه أن يلزم البلاط مع طغاجار و « جوشى » و اردوقيا - وهم كبار الأمراء » (٥٩) .

حدث بعد ذلك تطور فى الموقف كان فى صالح مجد الملك كلية ، وذلك حين أصدر أباقا أمرا بأن يتولى مجد الملك اليزدى الاشراف على كافة الممالك ، التابعة للدولة الأيلخانية ، من شاطيء نهر آموى (٦٠) حتى حدود مصر ،

(٥٨) كانت زوجة لهولاكو ، وأصبحت بعد وفاة هولوكو ، وطبقا للمعادة الذميمة عند المغول ، زوجة لابنه أباقا .

انظر : الترجمة العربية لجامع التواريخ طبع كاتمر ، ص ٢٢٢ حاشية ١

(٥٩) جامع التواريخ - الترجمة العربية ، م ٢ ج ٢ ص ٨٠ .

(٦٠) النهر الغربى من النهرين اللذين يحدان بلاد ما وراء النهر .

وأن يشارك صاحب الديوان شمس الدين الوزير فى الحكم . وتم اعلان ذلك الأمر ، الذى اتفقت الآراء على أن سلاطين المغول لم يصدروا أمرا مثله لأحد من الايرانيين وأهل البلاد الأصليين من قبل ، فى معبد مراغة . فى حضور كل الأمراء والخواتين ( الأميرات ) ، ويعد اعلان هذا الأمر قال أباقا مخاطبا مجد الملك : « تعقل فى أمور الملك والمال والخزائن والعوائد ، وابدل جهدك فى الاطلاع على كل صغيرة وكبيرة ، فنوابك يشرفون على كل الأمور ، وحافظ على حياتك ، ولا تتغيب عن البلاط بأى حال ، وإن قصدك أحد بسوء فأنا كفيل بالرد عليه » (٦١) .

ولقد أدى هذا التكريم البالغ الذى أحاط به السلطان أباقا مجد الملك الى ازدياد نفوذه وسطوته فى الجهاز الادارى للدولة بسرعة فائقة ، فدان له الجميع بالولاء ، « وصارت عتبه ملجأ وملذا للكبار والصغار على السواء ، وبدأ نجم صاحب الديوان فى الأفول . وعلى الرغم مما كان يبديه من تجلد واحتمال أخذ نفوذه يتضاءل بالتدريج بحيث لم يعد ذا خطر » (٦١) .

ويبدو أن الوزير شمس الدين وجد التيار غالبا ، والريح عاصفة شديدة. ففنع بمجارة الزمان ومراقبة الموقف ، انتظارا لما تسفر عنه الأيام . فلقد أرسل اليه مجد الملك ربايعا فارسيا من الشعر ، ترجمته :

سـوف أغوص فى بصر همومك  
فقد يصيبنى الغرق ، وقد أستخرج الدرر

ان التعرض لك خطر كبير ، وسوف أخاطر  
فقد يحمر وجهى تيتها وفخرا ، أو تحفر رقبتى نبحا وحدا

فأجابه صاحب شمس الدين بربايعى آخر ، ترجمته :

بما أننا لا نتحمل التطنناول على الملوك  
فقد كان لا بد من تحمل الكثير من المنغصسات

(٦١) جامع التواريخ - النسخة المذكورة ، ٢١٣ ب ، وانظر أيضا : الترجمة العربية لجامع التواريخ م ٢ ج ٢ ، ص ٨٠ - ٨١ .

وهذا الأمر الذى أقصمت نفسك فيه  
سيخرج وجهك ورقبتك معا بالدم القانى

ولما رأى مجد الملك أن مكائده لا تؤثر فى صاحب شمس الدين - اتجه  
الى اخيه علاء الدين ، وبدأ فى التفتن فى النيل منه (٦٢) .

#### ٤ - علاء الدين شاهد على أحداث عصره

وفى أوائل ربيع الأول سنة ٦٨٠ توجه علاء الدين عطا ملك لمقابلة  
السلطان أباقا فى تبريز ، وبعد أن فرغ من توزيع الهدايا على الأمراء ورجال  
الحاشية والبلاط ، وتسليم التقاديم التى يتعين عليه أن يقدمها الى السلطان  
لدى قدومه ليحظى بشرف المثول بين يديه ، « سلمت الخزائن التى كانت  
معى (٦٣) ، وبعد نحو ثلاثة أيام سلمت خزائنة أخرى حملتها معى باسم :  
فائض الأعمال والمصانع . لكن : وقوق تديبرنا لله تقدير ، إذ لم يكن للأمور  
الجارية أية صالمة يحسن التدبير أو عرض الخزائن » (٦٤) .

#### صورة للبلاط الإيفخالى :

يصف علاء الدين فى رسالته التى كتبها بعنوان « تسلية الاخوان »  
والتي حكى فيها - كما ذكرنا - أحداث السنة الأخيرة قبل وفاته - يصف  
مشاهداته فى بلاط الايلخان - أى السلطان المغولى - فى تبريز بقوله :  
« لقد رأيت عالما يغلى ويمور ، ويصيح بعضهم فى وجه بعض فى  
غضب ، وجاء من أكثر الممالك أصحاب المناصب والدواوين ، عليهم مظاهر  
الأبهة والفخامة والجمال ، لكنهم - والحق يقال - كالأفاعى ، قد أخرجوا  
السنة الوشاية من أفواههم » (٦٥) .

- 
- (٦٢) جامع التواريخ ، نفس النسخة ، ورقة ٣١٣ ب ، والترجمة العربية ، ص ٨١ .  
(٦٣) يشير رشيد الدين فضل الله ، فى كتابه جامع التواريخ . الى أن علاء الدين  
كان يحمل معه خزانيتين مملوءتين بالذهب .  
انظر : محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، مقدمة جهانكشائى ص مخ ، حيث نقل قول  
رشيد الدين من جامع التواريخ ، نسخة المكتبة الاهلية بباريس ، ورقة ٣١٣ ب .  
(٦٤) تسلية الاخوان ، ١ ٢٢٥ ، من النسخة الوحيدة بالمكتبة الاهلية ، بباريس .  
وانظر أيضا : الترجمة العربية لجامع التواريخ م ٢م ٢ج ، ص ٨١ - ٨٢ .  
(٦٥) أيضا ،

كان هذا حال الموظفين الديوانيين ، ومعظمهم - بل جلهم - من أهل البلاد التي سيطر عليها المغول من بلاد فارس والعراق ، استخدمهم المغول لتسيير الأمور في الدولة ، فتسابقوا - وهم أهل دين واحد ، وربما أهل بلد واحد - الى الاندفاع في الجو الفاسد العفن الذي كان يخيم على الادارة العليا في الدولة المغولية .

« ومما زاد الطين بلة أن كبار أمراء المغول من أركان الدولة والمقربين الى حضرة السلطان ، قد أضمروا العداة والكيد لبعضهم البعض ، وكمن كل منهم للأخر حرصا على كشف معاييه ، وهتك مثالبه . وأصبح لكل واحد من أهل البدعة والفساد ، ممن يروق لهم هذا الجو ، حاميا ومحرضا » .

وسيطرت الأهواء والأغراض الشخصية الدنيئة على المصالح العامة ، وتغلبت على الفضائل والخلق الرفيع . « كان الأمراء ينضمون الى جماعات وطوائف يكيد بعضها لبعض ، ووصل بهم الأمر الى أنهم كانوا يهبون لانقاذ مختلس أو مذنب ، ويعملون على تبرئته وتخليصه من الهلاك المحقق ، لا لشيء الا لأنه يطعن في عرض طائفة أخرى ، ( ولم يكن ذلك على سبيل المروءة والنجدة بقدر ما كان يمثل ) الهوى والغرض » .

ويستخلص علاء الدين النتيجة التالية مما راه هناك : « فلما رأيت الحال على هذا المنوال ، أيقنت أن الأمر لا صلة له بالتدبير الصائب ، والرأى الثاقب » .

ربما كان علاء الدين قد أتى بهذه الأموال الكثيرة والخزائن المكسدة بالذهب ، يجعلها نثارا بين يدي الايلخان ، لكي يبرهن على مدى اخلاص هذه الأسرة الجوينية في خدمة الدولة ، وفي التمكين لها ، وتنمية إيراداتها؛ فقد يؤدي هذا الى اقناع السلطان وكبار الأمراء بمدى الجدوى التي تعود عليهم من وراء خدمة هذه الأسرة العريضة ، وحسن تدبيرها في تسيير الأمور، وهذا من شأنه تخفيف العبء الواقع على أخيه الوزير شمس الدين محمد ، والتهوين من شأن منافسيه .

لكن الأمر لم يكن كما تخيل . وكان يتعين عليه عندئذ أن يحدد موقفه، « فلما الرضوخ للقضاء والقدر ، واما انتهاج نهج ابناء الزمان في تقبيح الصورة وفضح أسرار الآخرين ، افتراء وتزويرا ، والسعي بالنميمة

والوشاية ، ومن ثم التخلص من المهالك التي تتربص بالمال والروح . ان جماعة على هذا النحو قد تحققوا أن النجاة والفوز انما يكمن في اتباع هذا الطريق ، فتخلصوا بذلك من المطالبات « وتهيأت لهم الفرص لنهب أموال الدولة دون رادع أو رقيب » .

كان لا بد لعلاء الدين أن يتشاور مع أخيه ، الوزير شمس الدين محمد ، في هذا البلاء الذي حل بالجهاز الادارى الأعلى للدولة . « فجلست مع أخى ، وقتلنا : النار ولا البار ، ولتحل اللعنة على الدرهم والدينار » .

ويريد علاء الدين أن يشير الى أن الأمور في الدولة قد انقلبت هذا الانقلاب الخطير منذ ظهور المفسدين - مجد الملك وأمثاله - على مسرح الأحداث ، ومنذ اكتسابهم هذه المكانة التي نالوها في البلاد ، ولكن الشر لم يكن ليقف عند حد : « فلتن كان هذا الأسلوب قد أطل برأسه منذ نحو عامين فقط ، فان الوشاية والنميمة وجدت لنفسها في هذا العام - وهو سنة ثمانين وستمائة - أعظم الرواج ، وأصبحت المطالبات بالمظالم تجعل المرء يشعر وكأننا في يوم البعث والحساب . وأخذ أهل الثقة والاعتماد - رغبة في تقادى ما يجرى أمام أعينهم من مطالبات - يتبجحون بالمسعاية والنميمة . كما استبد الطمع بالنواب والمساعدين في منصب رؤسائهم وأستاذيهم ، وضربوا صفحا عن حقوق الصحبة والمالحة السابقة ، كما غضوا الطرف عن حق العيش والملح ، حق الدين » (٦٦) .

ولعل علاء الدين يشير في هذه الفقرة الأخيرة الى ما حدث من نائبه وصديقه ، وأخص ملازميه : مجد الدين بن الأثير ، الذى رافقه في تلك الرحلة الى تبريز ، لكن مجد الدين ما لبث أن وقع تحت تأثير مجد الملك وأعدائه واغرائهم وانقلب ضد علاء الدين وأخذ يكيل له التهم ويروج حوله الشائعات . اذ يشير صاحب كتاب « جامع التواريخ » الى أن مجد الدين بن الأثير أخذ يتبجح بسؤال علاء الدين عطا ملك عن الايرادات أمام ملاً من الناس ، ويقول له : كم حصلت من المكان الفلانى ؟ وكم أخذت من فلان (٦٧) ؟ فلما رأى

(٦٦) رسالة تسلية الاخوان ، ورقة ٢٢٢ ب .

(٦٧) جامع التواريخ ، نسخة المكتبة الأهلية بباريس Suppl. Pers. 1556  
ورقة ٢٢٥ . نقلا عن الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، مقدمة تاريخ جهانكشاي

- ص مخ -

وأنظر أيضاً : الترجمة العربية لجامع التواريخ م ٢ ج ٢ ، ص ٨١ - ٨٢ .



الوزير شمس الدين حرج موقف أخيه ، وتكالب الأعداء والأصدقاء عليه ، أرسل الى علاء الدين يقول له : « لا تنكر شيئاً على الاطلاق مما يقولون حتى لا تقع فى مأزق يصعب الخروج منه ، فلقد قيل : لا بارك الله بعد العرض فى المال » (٦٨) .

والحق أنه كان ينبغي التضحية بكل شيء حتى لا يمس أحد كرامة هذه الأسرة ، وأمانتها ، وصيانتها لأموال الدولة . فها هى ذى المخاطر تترقب بها من كل ناحية ، والمصائب تتوالى على من يطالب بأموال مزعومة للدولة فينكر ، « فلقد وصل معظم أصحاب الوشاية الى هدفهم اليوم ، وأصيب من سعوا فى حقهم بمصائب شتى ، ودواهى جمّة ، إذ هلك بعضهم من جراء المطالبة بالمال ، وخرّب بيته ، واضطر بعضهم الى اللجوء - منهزماً - الى مكان بعيد نازح ، ونأوا بأنفسهم ، فأخذ أبناءؤهم وأسروا ، وزج بهم فى السجون ، ونفذ فى البعض الآخر حكم « الياسا » (٦٩) ، وحل محلهم السفلة والجهال ، وكل من عاش يرى ما لا يرى » (٧٠) .

#### بغداد وشهرتها بين اقاليم الدولة الإبلخانية :

يقول علاء الدين : « وليس بخاف على الأعرز والأخوة أن لبغداد وما يضاف اليها شهرة كبيرة للغاية فى الأقاليم . وأن ما يتحصل منها - من مال - قليل جدا بالنسبة لما استقر فى الأذهان ، ولما يخرج من أفواه الوشاة الجهال » .

وفى هذه الفترة انطبعت هذه الصورة فى مزاج الإيلخان ، وحفرت فى ذهنه بقلم مختلف الألسنة . لكنه أخذ يقيس تلك المعانى على ما كان يشاهده

(٦٨) جامع التواريخ . أيضا . ورقة ٣١٢ ب ، والترجمة العربية لجامع التواريخ ،

ص ٨٢ .

(٦٩) قانون وضعه جنكيزخان ، التزم المغول به التزاما كاملا ، وجعلوه دستوراً مقدساً لهم ، ومعنى « نفذ فيه حكم الياسا » قتل . راجع : الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد - المغول فى التاريخ ، ص ٢٢٨ وما بعدها ، طبع بيروت ١٩٧٠ م .

(٧٠) تسليمة الاخوان - ورقة ٢٢٢ ب .

من المصروفات اللازمة لمباشرة عمل كهذا ، من خدمات التقديمات للمسلطان والخواتين والأخوة والأبناء ، والتحف والهدايا المختلفة ، وملتمسات أمراء البلاد وأركانها ، والأنعام المقدمة للضيوف والزائرين من أتباع السلطان وأشياء الأمراء وأمقالهم . غير أنه لوفور عنايته وكرمه الملكى ، ورعاية لحقوق اللجوء والحماية ، ولسابق خدمتى التى بلغت ثلاثين سنة ونيف ، لم يكن ذلك الكلام يصادف عنده قبولا ، \*

كان المبلغ الذى طوالب به علاء الدين كبيرا : « فلقد زعم الأعداء (يعنى مجد الملك وأعوانه ) (٧١) أن فائض مال بغداد كل عام هو عشرون تومانا من الذهب ( يساوى ٧٠٠.٠٠٠ دينار ذهبي ) (٧٢) ، لا يصل منها شيء للخزانة . ومن ثم يتبقى على علاء الدين مائتى تومان ( ٢ مليون دينار ) هى قيمة ما تجمع لديه طوال السنوات العشر الأخيرة التى حكم فيها تلك الديار على سبيل الضمان . وأدخل أولئك الأعداء ذلك فى روع الايلخان (السلطان)، وزينوا له أن ذلك الفائض قد حملته أنا على شكل أموال ذهبية الى منزلى ودفنته فى باطن الأرض » \*

ويدفع علاء الدين هذه التهمة عن نفسه - أمام قارئه - بقوله : « والحق أن حصول الفائض المذكور يعد بهتاننا وزورا ، إذ لو تحصل هذا الفائض لتمهدى التحصيل - والمبلغ يعد بالنسبة للزمن المالى أقل بكثير من العشر - بل لو تحصل لهم ضعفاه أو ثلاثة أضعافه ، لكان من المسلم به - وفقا لعادة ضمان الأموال الديوانية وما تقضى به « الياسا » المغولية - انفاقه فى صورة تقفات رمصاريق ضرورية .» \*

---

(٧١) يلاحظ أن علاء الدين عطا ملك لم يذكر اسم « مجد الملك اليردى » أبدا فى رسالتيه اللتين كتبهما وشرح فيهما أحداث السنتين الأخيرتين من حياته ، ربما من باب ازدياء مجد الملك وتقبيحه .

(٧٢) يقول علاء الدين فى رسالة تسلية الاخوان ( ورقة ٢٢٤ أ ) ما ترجمته : « وفى وقت الخلوة وفرصة الغيبة قال - فى أثناء العرض على السلطان : ان الابن المرحوم ( يعنى بهاء الدين بن شمس الدين الجوينى ) قد استخرج من أعمال العراق ( العجمى ) التى كان يتولى حكمها ستمائة تومان ذهبي ، أى ما يعادل ستة آلاف ألف دينار ، زيادة عن المقرر ، ومن ثم نجد أن التومان الذهبى يعادل عشرة آلاف دينار ذهبي ، راجع أيضا مقدمة القزوينى لجهانكشاي ، ص مد \*

« ان المصروفات الكثيرة اللازمة للديوان ، بالاضضافة الى الهدايا والتقدمات وشئون التعمير ونفقات الديوان ، كل ذلك اذا وضع في مقابل اليرادات تأتي النفقات مساوية للفائض .

« وفي السنوات الماضية كنت قد سلمت أموالا على أنها فائض ، وكنت في هذه السنة ( يعنى سنة ٦٨٠ ) ، وقيل وصولي للمثول في الحضرة السلطانية قد بعثت تقريرا بما تم تحقيقه من فائض في الأموال ، فحاز رضا السلطان ، وشملت بالانعام ، وبمجرد وصولي سلمت هذا الفائض « (٧٣) .

### الخروج من المأزق :

غير أنه يبدو أن السلطان - برغم ذلك - قد اقتنع بما سمعه من الوشاة بأن حاكم العراق العربي يحتج أموال الدولة . ويخص بها نفسه . وكان يتعين على علاء الدين أن يتصرف مستخدما خبرته الطويلة بالشئون الادارية والمالية ، ودرايته الدقيقة بالظروف العامة المحيطة بالسلطان وبلاطه ، وقد وجد أن « الوقت كان دقيقا للغاية ، فلقد كانت الخزانة بحاجة الى المال » (٧٤) كما وجد أن السلطان قد بدأ - بتأثير الوشائيات - يشك في أمانته وإخلاقه ، فهده تفكيره الى مخرج من هذا المأزق : « كنت في السنوات السابقة قد حولت للخزانة مقررات الأموال ، وكنت قد أضفت فوق المقرر أضعافا مضاعفة - وذلك اننى لم أكن أحمل الدولة مسئولية الرعية ( فى العراق ) ولم أكن أستخرج الأموال مقدما مع القسمة - كما يفعل الولاة فى سائر الأقاليم - وكان أصحاب الاحالات (٧٥) يعتذرون بأعذار واهية لكنى لم أكن أرى الصلاح فى دفعهم ومنعهم ( والضغط عليهم وتحصيل المال منهم بالقوة ) ، وكان من المتعذر - فى الوقت نفسه - الاعتذار بعدم ارسال المال للخزانة ، فكنت أؤدى - مما يخصنى من مال - ما يتبقى على أرباب الحوالات ، وكنت أرسىل الأحمال (٧٦) بصفة مستمرة على أن استردها فى المستقبل » (٧٧) .

(٧٣) رسالة تسلية الاخوان ٢٢٤ ب .

(٧٤) أيضا .

(٧٥) من يطلبون تأجيل مستحقات الديوان للسنوات القادمة .

(٧٦) جمع حمل : الأموال التى تحمل الى بيت المال أو الخزانة العامة ، انظر

مفاتيح العلوم للخوارزمي . طبع مصر ١٩٧٨ م ، ص ٥٨ .

(٧٧) رسالة تسلية الاخوان ، ورقة ٢٢٦ ب .

وهكذا تكونت لعلاء الدين عاما يعد عام أموال جلييلة لدى الخزانة ، من جراء اقالته لعثرة أصحاب الحوالات ممن يتأخرون فى سداد ما عليهم من أموال لأعدار قد تبدو واهية .

« ولكى أخلص نفسى وأخلص الكثيرين معى من سوء مقالة هؤلاء الأرائل واقتراءاتهم قبلت سداد هذا المبلغ ، فتنانلت عن المبلغ الذى كان مستحقا لى لدى الديوان ، والذى كان مساويا تقريبا للمبلغ الذى ذكره أهل الوشاية » (٧٨) .

#### ٥ - مجد الملك يواصل الكيد لعلاء الدين

لكن الأعداء كانوا لعلاء الدين بالمرصاد ، فدبروا مكيده أخرى من شأنها أن تعجز علاء الدين عن الخروج من شركها ، ففتشوا فى السجلات والدفاتر القديمة ، ووجدوا أن هناك متأخرات على علاء الدين منذ سنة ٦٦٩ ، بلغت ٢٥ مليون دينار ، وأن هذه المتأخرات لم تسدها بغداد الى الخزانة بأى وجه من الوجوه (٧٩) .

كان مجموعة من أمراء المغول قد كلفوا من قبل السلطان بالتسوجه فى سنة ٦٦٩ لفحص حساب بغداد ، وفى ذلك الحين كان علاء الدين يباشر تسيير الأمور فى بغداد على سبيل الأمانة لا على سبيل الضمان (٨٠) .

ولم يكن لما تقول به الأعداء من متأخرات أى أساس من الصحة ، بل

(٧٨) رسالة تسلية الاخوان ، ورقة ٢٢٦ ب .

(٧٩) أيضا .

(٨) الأمانة : « حفظ شيء وعدم التصرف فيه سواء كان مالا أو غيره ، - ولعل علاء الدين يريد بالضمان هنا ضمان الرهن : « وهو ما يكون مضمونا بالثمن قل أو كثر . بمعنى أن علاء الدين كان يسد فى حالة الامانة ما يتم تحصيله وفى حالة الضمان يسد قيمة معروفة ومعينة كل عام .

راجع : القاضى الأحمد نكرى : جامع العلوم فى اصطلاحات الفنون ، بيروت ١٣٩٥ ، ١ : ١٧٢ ، ٢ : ٢٧٠ .

وانظر الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس : الخراج والنظم المالية فى الدولة الاسلامية - طبع مصر ، ١٩٧٧ ، ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

هو كذب وبهتان • والحق أنه كان قد تأخر مبلغ ما ، لكنه كان منكسرا (٨١) ،  
مثل ضمان « التمغا » (٨٢) ، وهي مبلغ لم يكن يتعهد بسدادها الا المتشردون  
والسفلة مما يتعذر استيفاؤه « (٨٣) •

يعود علاء الدين بذاكرته الى ذلك التاريخ ، منذ اثنتى عشرة سنة  
ويقول : « كنت عندئذ قد صحبت جماعة الأمراء فى منصرفهم من بغداد  
متوجهين سويا للمثول فى الحضرة السلطانية • فأخذ كبار الأمراء يتحدثون  
فى مسألة تلك الأموال المتبقية ، ورأوا من الواجب اظهار الأمر على حقيقته ،  
واتفقوا جميعا - أثناء عرضهم على السلطان - على أن ما تبقى من أموال  
انما هو موجود لدى جماعة الضمان والرعية ، ولا يوجد منه شيء البتة  
فى حوزة فلان • فلما استنار خاطر الايلخان ( السلطان ) بهذا الرأى ،  
وأيقن أنه لا شأن لى بالأمر ( ولا حيلة لى فيه ) ، فضلا عن أنه لو استعملت  
الشدة فى استيفاء الأموال لكان ضرر ذلك أكثر من نفعه ، لأنها ستؤدى  
بالولاية الى الخراب وبالرعية الى التفرقة ، عند ذلك أبدى لى ضروب العطف  
والحنوب ، وشملنى بالانعام ، وأمر بعودتى الى عملى ، فانقطع الحديد  
فى هذا الموضوع منذ ذلك الحين » (٨٤) •

كان ذلك منذ اثنى عشر عاما ، أى فى سنة ٦٦٩ ، ولم يكن أحد يتصور أن  
تثار تلك القضية من جديد ، لكن الأعداء استطاعوا أن يدخلوا فى روع  
«أباقاخان» أن علاء الدين قد حمل النقود المتبقية فدفنها فى باطن الأرض فى  
منزله ، وزين هذا الظن فى قلب الايلخان وخاطره واستولت عليه تلك الفكرة  
استيلاء عجيبا (٨٥) •

وقد اقترن وقوع ذلك بأمر أصدره أباقا لآخيه الأمير « منگوتيمور »  
لقيادة جيش جرار الى بلاد الشام ، أما السلطان نفسه فد سار الى « مشقاة

---

(٨١) المنكسر : « ما لا يطمع فى إستخراجه لغيبة أهله أو موتهم أو نحو ذلك » .

(٨٢) تسلية الاخوان ١ ٢٢٧ •

(٨٣) أيضا •

(٨٤) تسلية الاخوان ، ١ ٢٢٧ •

(٨٥) انظر رسالة تسلية الاخوان ١ ٢٢٧ •

بغداد ، ثم توجه الى اربل والموصل فى رحلة صيد ، وعزم على تفقد رجة الشام « (٨٦) .

« فساق فيلقا من هناك ونزل على أطراف قرية تسمى « دير » (٨٧) وكلف جماعة من الجند فضربوا سبيجا حول الرجة لصيانتها من اللصوص (٨٨) ، وبقي هناك بضعة أيام للصيد والترويح عن النفس ، ثم أمر الجيش باختراق الرجة ، وقطع الماء عن المزارعين ، ومن هناك عزم السلطان على العودة الى بغداد وسير جيشا كبيرا الى الشام فى اثر الجيش السابق ، وقد تقدم محرر هذه الحروف لتقدير مصالح المنازل وترتيب ما يحتاج اليه الجيش واعداد المؤن اللازمة له ، ثم رجع الى بغداد فى غرة رجب سنة ٦٨٠ ، (٨٩) .

وعندما اقترب علاء الدين من بغداد اثار مجد الملك (٩٠) مسألة الأموال المتبقية من جديد ، وذكر بها السلطان الذى أمر بمسير جماعة من كبار الأمراء فى اثر علاء الدين ، لاستيفاء تلك الأموال فلحقوا به فى تكريت وابلغوه بأمر أباقا ، فأيقن علاء الدين أن الأمر جد ، « وأن أقوال أصحاب الأغراض قد اثرت تأثيرا حاسما فى خاطر السلطان » (٩١) ، ويبدو أن علاء الدين كان يظن أن ما قدمه من خدمات فى سبيل تجهيز الجيش المتوجه الى الشام ، وما بذله من جهود فى سبيل جعل إقامة السلطان طيبة فى منطقة العراق سيدرا عنه سعيات الساعين وأقاويل الوشاة والحاسدين ، ولم يخطر له على

---

(٨٦) ارجحة ، أو رجة الشام ، مدينة على الضفة اليمنى للفرات ، عرفت فى العصر الحديث باسم الميادين ، وهى معروفة بخصوبة أرضها وغزارة مياهها وكثرة حدائقها ، انظر هذه المادة فى دائرة المعارف الاسلامية .

(٨٧) ورد اسم هذه القرية فى تاريخ الوصاف ، طبع بومبائى ص ١٨ ، « دير اسير » كما ورد فى جامع التواريخ ، م ٢ ج ٢ ص ٨٣ من التبريد العربية « ديربير » .

(٨٨) الحق أن أباقا قد حاصر « الرجة » ، ولم يكن هدفه حفظها عن اللصوص .

(٨٩) رسالة تسلية الاخوان ، ١٢٢٧ .

(٩٠) تاريخ الوصاف ، ص ٩٨ .

(٩١) ايضاً .

بال أن يتاثر أباقا الى هذا الحد بتلك الوشائيات ، لكن ظنه قد خاب على كل حال .

يقول علاء الدين « كان المقصود بالمطالبة بالبقايا هو تلمس السبيل للحصول على الذهب ، والذي قصدوا بأنه موجود فى المدرسة والرباط (٩٢) اللذين أنشأتهما بجوار مشهد عبيد الله على ٠٠٠ - وليس ثمت أثر لما يزعمون - فى أحواض ملأى عن آخرها » (٩٣) .

### شمس الدين الجوينى ودوره فى انقاذ أخيه :

فى غمرة هذا الموقف الحرج تبدأ صورة الوزير شمس الدين الجوينى فى الظهور من جديد ، يقول علاء الدين : « كان يتناهى الى سمعى أن أخى - حماه الله ووقاه - قد استولى عليه القلق واستبد به الاضطراب والتبرم بسبب هذا الموقف ، فأصابنى الاضطراب بدورى لاضطرابه ، والا فقد كنت عند ذلك فارغ البال مرتاح الضمير من عدل الفلك وجوره ، وكنت حرا طليقا من عبء التفكير مسلما أمرى لإرادة الحق تعالى ، لا أشكو ولا أتذمر ، بل كنت أرى ما حدث نعمة من الله بها على ، لا نقمة ، وتهديبا ، لا تعذيبا .

وما لبثت أن أرسلت الى أخى خطابا أنكرت عليه قلقه ووجهت اليه اللوم لانقباضه ، وجرت هذه الأبيات العربية على خاطرى فدونتها فى الخطاب :

لمئن نظر الزمان الى شـزرا

فلا تك ضيقا ، أقديك صدرا

وكن بالله ذا ثقة (٩٤) فانى

أرى الرحمن فى ذى الأمر سرا

(٩٢) راجع فيما سبق ، ص ١٦ .

(٩٣) تسلية الاخوان ، ٢٢٧ - ٢٢٧ ب .

(٩٤) فى الأصل : واثقا ، ولا يستقيم به الوزن ، فصححناها على هذا النحو .

## زمانى ان زمانى (٩٥) لا أبالي

فقد مارسسته يسرا وعسرا (٩٦)

مجمل القول أن علاء الدين اصطحب جماعة الأمراء المغول ، وانطلق معهم من تكريت متوجها الى بغداد « حيث سلمتهم ما كان موجودا فى الخزانة أو فى داخل البيت من غرض ويايس ، وفضة وذهب ، ومرصعات وجواهر وأقمشة وملابس ، وكل ما آل الى عن طريق الميراث ، وكل ما ادخرته ، حتى الأواني النحاسية والخزفية ، وكل ما صغر أو كبر ، كما سلمتهم الأملاك ودور الضيافة والقصور والحمامات ، وأنواع الحيوانات من الممالك حتى الدواب ، وكل ما يدخل تحت نطاق الملكية ، حتى انى سلمت اليهم أيضا سائر ما كان لخاصتى وأبنائى ٠٠٠ وبعد هذا قبلت أن أقر على نفسى بخط يدي أنه لو ظهر فيما بعد ذهب يساوى درهما واحدا مدفونا فى باطن الأرض أو مودعا لدى أحد ، لحق على العقاب ، ولوجبت على المؤاخذة » (٩٧) .

كان يتعين على الوزير شمس الدين الجوينى أن يتحرك ، ويبادر لانقاذ أخيه علاء الدين ، وكان شمس الدين يرافق السلطان آباقا فى جولته الترويحية التى يقوم بها فى نواحي العراق ، فلم يستطع شمس الدين الاستمرار فى ملازمة السلطان لشدة شففته ورافته بأخيه علاء الدين وحديه عليه ، فاستأنن فى الانصراف عن خدمة آباقا للتوجه الى بغداد . « وعندما وصل الى بغداد بز الجميع فى الجد والحرص على تحصيل المطلوب ، وأخذ يبذل جهدا هائلا . وكان يبغى من وراء ذلك العمل بحسن تدبير على زيادة ما يتم تحصيله من مال ، لكي يقع من السلطان موقعا حسنا عند العرض عليه ، فتنحل تلك العقدة التى استحكمت » (٩٨) .

(٩٥) فى الأصل : زمانى ، ولا يستقيم به المعنى ، فصحناها على هذا النحو .

(٩٦) تسلية الاخوان ، ب ٢٢٧ .

(٩٧) تسلية الاخوان ٢٢٧ب - ٢٢٨ ، ويشير مؤلف جامع التواريخ الى هذه الواقعة

بقوله : « وقد سلم علاء الدين كل ما يملكه حتى ما كان قد اشتراه للنساء والولدان ، ثم حرر اقرارا بأنه يعد مذنباً لو ظهر فيما بعد شيء بمقدار درهم واحد » . جامع التواريخ

النسخة المذكورة . ورقة ٣١٤ ، نقلنا عن القزوينى فى مقدمة جهانكشاي ، ص س .

وانظر أيضا الترجمة العربية لجامع التواريخ م ٢ ج ٢ ص ٨٤ .

(٩٨) تسلية الاخوان ٢٢٨ أ .



لقد شمر شمس الدين الجويني عن ساعد الجد لكشف الغمة عن أخيه علاء الدين ، بل لكشفها عن نفسه وسائر أفراد الأسرة الجوينية ، « وقد بدأ أولاً بنفسه فأخرج كل ما كان في منزله ومنازل أولاده من الأواني الذهبية والفضية ، والجواهر والمرصعات ، ثم أحضر كافة النواب والمعتمدين واقترض من كل منهم ما استطاع اقتراضه ، فأضاف بذلك على كل هذه الأموال أموالاً أخرى ٥٠ مجمل القول أنه بذل كل ما في وسعه واستنفذ كافة الوسائل في التحصيل » (٩٩) .

وفي ذلك الحين « وصلت المراكب السلطانية الى « دجيل » فحمل أخى كل ما يمكن حمله وعرضه على السلطان من جواهر وملابس وبيضائع وأواني الذهب والفضة وتوجه بها الى حضرة السلطان . ولما كان ذلك كله لا يبلغ عشر معشار ما أدخله الأعداء في روع السلطان وأذنه ، صار عرض الحال واجتهاد أخى - طلال عمره - على وجه يتسم بالمراقبة والجمالة ، ولم يعلم أحد أمر مساعدته ومعاقبته في هذا الصدد . على أن اعصار النكبة لم يلبث أن ذهب بكل تدبير ورأى انساني ، ولهذا صدر الأمر الى تفاجسار يارغوجي (١٠٠) و (مجد الملك) (١٠١) وأمراء الاستيفاء بالقدوم الى بغداد ، كي يستخرجوا الكنوز الدفينة والجواهر الثمينة التي زعموا وجودها» (١٠٢)

### التعليق :

لقد خاب اذن مسعي الوزير شمس الدين ، ونظر اباقا الى ما أتى به وزيره من مال وجواهر وذهب وفضة ، لكي ينقذ أخاه من ورطته - نظرة كلها استهزاء وإزدراء .

(٩٩) أيضاً .

(١٠٠) يبدو أن هذا الأمير المغولي كان من كبار أمراء البلاط ، كما كان يمدد حمايته على مجد الملك العدو للودود للجوينيين ، انظر فيما سبق ص ٢٦ .  
(١٠١) إضافة من جامع التواريخ ، النسخة المذكورة ، ورقة ٣١٤ ٦ تعادل ص ٨٤ من الترجمة العربية لجامع التواريخ ، م ٢ ج ٢ ، وقد سبق أن اشرنا الى أن علاء الدين لم يذكر في هاتين الرسالتين اسم مجد الملك من باب تحقيره وإزدراؤه . راجع فيما سبق ص ٣٢ ، هامش ٧١ .  
(١٠٢) تسليمة الاخوان ٢٢٨ ب .

ويبدو أن فشل الحملة ، التي شنتها أباقا على الشام ، قد أثر على موقفه من شمس الدين وأخيه علاء الدين ، فلقد منى جيش « منكوتيمور » بهزيمة كبيرة فى موقعة حمص بالشام يوم الخميس ١٤ رجب سنة ٦٨٠ ، وولى الجيش الأدبار ، كما لم تجد المحاولات التي بذلها أباقا نفسه لفتح الرحبة يعدد حصارها الطويل ، وبذلك كان نصيب هذه الحملة أيضا هو الفشل ، كسابقتها من الحملات التي شنها المغول الأيلخانيون على المماليك فى مصر والشام (١٠٣) . وربما أثر هذا الفشل على القرار الذى أصدره أباقا فى حق علاء الدين .

• فلقد بادر أباقا بإصدار أمره، الذى عهد فيه لأعداء الجوينيين والحاسدين عليهم بالقيام بأنفسهم بالبحث والتفتيش ، وهو يعلم تمام العلم أن هؤلاء الأعداء لن يتركوا وسيلة - حتى ولو كانت دنيئة - الا وتوسلوا بها لكشف الدفائن والكنوز . وكان أول ما فعله تغاجار ومجد الملك وأعوانهما أنهم « أحضروا جماعة خزان الخزائن الداخلية والخارجية ، وبذلوا غاية الجهد فى الكشف والبحث والتتبع ، وعزلونى على انفراد بعيدا عن الأقارب فى منزلى . ثم بنأوا بعد ذلك فى تعذيب الثقة والمعتمدين ، واستمروا فى تعذيبهم عدة أيام ثم دوشخوهم (١٠٤) ، وذهب الأمراء مرتين أو ثلاثا الى رباط بغداد ومدرستها اللذين كنت قد أنشأتها بها ، حيث توجد مقبرة جماعة من الأطفال والأعزاء ، وشرعوا فى التنقيب والبحث ونبش القبور ، فلما فقدوا الأمل فى العثور على الدفينة المتروحة جمعوا السجاجيد والمفروشات والأثاث والأقمشة التي كانت موجودة على سطح الأرض فى المقابر والمساجد والرباط ، ولما لم يبق شيء لم يتم تفتيشه قاموا بحرق الملابس الجديدة والقديمة وأثاث البيت ولم يتركوا حتى الأطعمة والأدوات المستخدمة فى البيوت ، كما جمعوا الأطعمة والأشربة التي كُما قد أعدناها لارسالها الى مستشفيات تبريز ، وخراسان ، وتستر ، والموصل وغيرها ، وأحرقوا ذلك كله عن آخره » (١٠٥) .

(١٠٣) كوقعة البيرة ( سنة ٦٧١ ) وابلستين فى آسيا الصغرى ( ٦٧٥ ) .

انظر : عباس اقبال . تاريخ مغول ، ص ٢١٣ ، ٢١٦ .

(١٠٤) دوشخ : أى عذب بالة تسمى : دوشاخه ( انظر الحوادث الجامعة

ص ٣٤٩ حاشية ١ ) ، ويبدو ان هذه الكلمة الفارسية الأصل ، قد استخدمت فى العربية

فى تلك الفترة ، ومعناها : ذات الفرعين .

(١٠٥) تسلية الاخوان ، ٢٢٨ ب .

وليت الأمر قد توقف عند هذا الحد ، بل التفتوا الى علاء الدين نفسه فنقلوه من مكانه الذى كان فيه الى « قصر المسنى » ، وفكوا قيده الحديدي ، ووضعوه على الدوشاخة (١٠٦) . يصف صاحب كتاب «الحوادث الجامعة» الذى كان شاهد عيان ، هذا الحدث بقوله : « وفى سنة ثمانين وستمائة قبض السلطان على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه ، وسلم الى صاحب مجد الملك ، فاستوفى منه أموالا كثيرة وبيع من أملاكه وأسبابه جملة طائلة ، ودوشخ ، وألقى تحت دار المسناة التى بأعلى بغداد على شاطئه دجلة ، مكتوفا عليه قميص واحد ، وكان البرد شديدا جدا ، وضرب خواصه وخدمه وأتباعه واستوفيت الأموال منهم » (١٠٧) .

ويبدو أن مجد الملك وأعوانه قد رأوا أن الزج بعلاء الدين فى السجن وتعذيبه من شأنه أن يخيف أعوانه ، لكن مجد الملك « لم يجد شيئا يرغم ما استخدمه من فنون التعذيب والترهيب فلم يكن هناك من المدخرات القديمة والحديثة الا ما سبق عرضه فى أول الأمر » (١٠٨) فضلا عن أن أهل بغداد وقفوا جميعا مع علاء الدين فى محتقه ، ولم يشهد عليه أحد زورا : « بل كان عموم أهالى مملكة بغداد مشاطرين لى فى الواقعة التى جرت ، شركاء لى فى مشاعرى صباح مساء » (١٠٩) .

« وفى نهاية الأمر ، لما رأوا أن السحال يسير على هذا المنوال حملوا كل ما تبقى - صغيرا كان أو كبيرا ، وسارعوا به حضرة السلطان لعرض الأمر » (١١٠) .

### المخلص :

وهنا تبدأ الجهود - التى يبدو أن الوزير شمس الدين الجوينى قد بذلها - فى النجاح ، فالواضح أنه تمكن أخيرا من اقناع كبار الأمراء والأميرات

(١٠٦) انظر تسلية الاخوان ١ ٢٢٩ وراجع فيما سبق ، هامش ١٠٤ .

(١٠٧) الحوادث الجامعة ، ص ٤١٥ - ٤١٦ .

(١٠٨) تسلية الاخوان ، ١ ٢٢٩ .

(١٠٩) أيضا ٢٢٢ ب .

(١١٠) أيضا .

بالتدخل فى الأمر (١١١) لصالح أخيه علاء الدين ، وذلك فى وقت بلغ فيه نفوذ هؤلاء الأمراء وتأثيرهم على السلطان شأوا بعيدا ، يقول علاء الدين : « وقام الأمراء والأميرات - أثناء الحديث مع السلطان - وضربوا (جوك) (١١٢) على سبيل التعظيم ، وجددوا طلب الصفح والانعام الذى طالما سبق لهم التماسه صباح مساء . وعلى الأخص من الأميرات «بولوغون خاتون» (١١٣) ومن الأمراء ، «قونقور آتاي» (١١٤) ، فاستجاب السلطان لطلبهم ، وفى يوم الخميس الرابع من شهر رمضان سنة ثمانين وستمائة شملنى الانعام فخرجت من مضايق اليأس والقيد والحبس ٠٠٠ » (١١٥) .

كان لايد لعلاء الدين ، وقد برئت ساحته وشمله الانعام ، أن يمثل فى حضرة السلطان ، ويبدو أنه توجه فى معية مجموعة من كبار الأمراء الذين ساعدوا على أخراجه من محنته هذه . وفى هذه المقابلة أجمع هؤلاء الأمراء على أن الأموال المتبقية - كبرت أم صغرت ، لا شأن لفلان بها ، وإنما هى بقايا منكسرة على الرعية ، ولو تم استيفاؤها ستؤدى الى خراب البلاد . وعند ذلك ، تلطف السلطان معى فى القول ، وضرب صفحا عن الموضوع برمته « (١١٦) » .

وقيل أن يختم علاء الدين رسالته المعروفة « بتسليية الاخوان » يعيبح بحمد الله عز وجل ، ويقضله عليه ، فلقد كانت هذه المحنة بالنسبة له تعليما وتهديبا وتصفية من الشوائب والكدر . وكان علاء الدين فى أول رسالته تلك - قد أشار الى عزمه على اعتزال العمل لكى يمضى بقية عمره فى رضا

- 
- (١١١) مثل ما فعل فى محنة علاء الدين الأولى ، انظر فيما سبق ، ص ٢٥ - ٢٦ .
- (١١٢) « ضربوا جوك ، وهو الخدمة عندهم ، وكيفيته أن يبرك الرجل منهم على احدى ركبتيه ، ويشير بمرقه الى الأرض ، وهذه الخدمة عندهم غاية التعظيم » (نهاية الأرب ، ج ٢٦ ، نقله عنه كاترم فى حواشى جامع التواريخ ص ٣٢٢ ) . وأنظر أيضا القزوينى . مقدمة تاريخ جهانكشاي . ص مح .
- (١١٣) من أحب نساء آباقا اليه - انظر جامع التواريخ ، النسخة المذكورة ، ورقة ٢٩٦ ب ، ص ٨٨ ، ٨٩ من الترجمة العربية لجامع التواريخ .
- (١١٤) أخو السلطان آباقا ، وقد قتله أخوه الآخر المعروف بالسلطان أحمد بعد جلوسه على العرش سنة ٦٨٢ ، انظر : جامع التواريخ رقم ٣١٨ .
- (١١٥) تسليية الاخوان ، ٢٢٩ ب .
- (١١٦) أيضا ، ٢٣٠ ٩ .

الله عز وجل والاستغفار لسوايقه من الذنوب والآثام ، يقول : « ولما كنت قد رأيت مثل هذه الوقائع والمصائب كرة بعد كرة ، ومرة بعد مرة ، وضاعت ليالى الشباب ، وهى رأس مال الحياة ، على هذا المنوال ، وانقلبت أيام الكهولة بدوزها رأسا على عقب ، استقرت النية على الاعتزال والانزواء .  
( نظم فارسى ترجمته : )

ـ لقد مضى من العمر ما كان طليبا ، مضى كما تضى الرياح عبر السهول

لأنسحين بنفسى مرة أخرى ، ولاكفن يدي عن الأعمال والأشغال الدنيوية التى تليق بالشباب الباحث عن الشهرة ، ولأخطون فى طريق الآخرة ، ولأعدن زاد الطريق الطويل البعيد الذى ينتظرنى « (١١٧) .

وعلاء الدين يشير هنا الى نفس المعنى قائلًا انه لم يعد فى العمر بقية تذكر ، ويستشهد بحديث النبى صلى الله عليه وسلم : أعمار أمتى بين الستين والسبعين . كما يستشهد بالأثر من الحديث القدسى : يا دنيا من خدمنى فإخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه . ثم يثنى بعد ذلك على السلطان ( المغولى ) الذى ظهر الحق على يديه . وكان فى منتهى الحلم والكرم ، فعفا وغض الطرف ، برغم اشتعال نائرة الغضب فى نفسه ، تأثرا بأقوال كل من هو « أبو لهب » . وبرغم انشغاله الشديد فى أمور الجمهور .

وأشار فى النهاية الى أن ما يمكن استخلاصه من هذا الدرس هو القول المأثور : المقدر كائن والهم فضل (١١٨) .

### صلة لرسالة تسليية الاخوان :

أشرنا من قبل الى أن الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى قد عثر فى ذيل احدى النسخ الخطية لكتاب « تاريخ جهانكشاي » ، تأليف علاء الدين عطا ملك الجوينى ، على رسالة أخرى ليس لها عنوان ، لكنها مكتملة لرسالة تسليية الاخوان ، كتبها علاء الدين بنفسه أيضا . وقد تسلسلت حوادثها — كما سبق أن ذكرنا — بعد تسليية الاخوان مباشرة ، ولذلك فهى تعد صلة وتكملة

(١١٧) رسالة تسليية الاخوان . ورقة ٢٢٤ ب .

(١١٨) انظر : رسالة تسليية الاخوان ، ورقة ١٢٣٠ .

لتسليية الاخوان • وتنطوى هذه الرسالة على الامية بالغة ، فهي تنمة لتلك السيرة الذاتية التي بدأ علاء الدين بتدوينها عن السنوات الأخيرة من حياته عندما كان حاكما للعراق ، وتنتهي أحداث هذه الصللة فى جمادى الأولى سنة ٦٨١ ، أى قبل وفاة علاء الدين بنحو ستة أشهر ، اذ توفى - كما سنرى - فى ذى الحجة من السنة نفسها •

وقد أفاد الأستاذ القزوينى - رحمه الله - بهذه الصللة أثناء تأريخه لحياء علاء الدين وعرض مؤلفاته ، وذلك فى المقدمة القيمة التى كتبها للمجزء الأول من « جهانكشائى » ، وهو الجزء الذى قام القزوينى بتحقيقه ونشره ضمن سلسلة جب الذاكرية البريطانية ، فى سنة ١٩١٢ م •

وسنحاول فيما يلى الافة - بصورة أوسع - من هذه الصللة ، لتقديم صورة واضحة لحاكم بغداد والعراق العربى فى ذلك الحين ، من خلال أفضل المصادر وأوفاهها وأوثقها ، أعنى من خلال ما كتبه علاء الدين بنفسه عن نفسه •

## ٦ - سعاية جديدة يديرها الاءاء

يقول علاء الدين : « لما استنفذ جماعة الاءاء كل سهام الكيد التى وضعوها فى جعبة التزوير ، ولم يظهر شىء على الاطلاق من المدفونات والأموال المودعة المتوهمه ، ولم يشك (١١٩) منه مخلوق ، ولم يثبت عليه ذنب ، خافوا عاقبة سيئات أفعالهم وأكاذيب أقوالهم ، باتوا فى قلق من نتيجة فعلهم وقولهم لأنهم لم يصلوا الى بغيتهم ومرادهم • لذا بدأ هؤلاء المفسدون يعقدون الاجتماعات من جديد فى الخلوات ، واستقروا بعد تفكير طويل على أن يلوثوا عرضى ، وأن يسودوا الوجه الأبيض للاخلاق بشامة الغدر ، وذلك عن طريق زعمهم بأننى أكتب ملوك مصر والشام ، فيتوصلوا من هذه الثغرة الى تغيير مزاج الالخان ( يعنى السلطان ) •

« ولقد وقعوا على رجل مخمور من اليهود وكلفوه بأن يخط بماء

---

(١١٩) كذا بلفظ الغائب ، والمقصود هنا هو علاء الدين نفسه . وقد حولنا ضمير الغائب أثناء ترجمة النصوص الفارسية الى ضمير المتكلم ، منعا للمبس وحرصا على اتساق السياق •

الزعفران خطوطا على « جريدة الجند » ، ثم يحرفون الجريدة بالطلسمات . غير أنهم احتاجوا الى جماعة من المساعدين المقرين لأقوالهم ، وشبههم الزور . وظلوا بضعة أيام يظهرن بأنهم حريصون على تسكين نائرة الشر ، ولكنهم كانوا يثيرون بركان الزور فى الخفاء ، ووقع عليهم قول الحق تعالى : « قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سـاحر عليم » (١٢٠) وجدوا فى البحث عن أهل الفساد ، وفى النهاية اتفق معهم جماعة من مفسدى النصارى -الذين كان الجاثليق قد أعلن حرمانهم (١٢١) - فى ذلك التزوير .

••• هذا الى جانب اثنين أو ثلاثة من الرعاع وأولاد الزنا ، قبلا وسوسة ايليس بظن اكتناز الأموال » .

ويعد أن أعد مجد الملك وأعوانه عدتهم . وأخذوا أهبتهم « ساروا الى خانقين » فى اثر المراكب الايلخانية ، وهناك عرضوا دستور المكائد التى كانوا تواضعوا واتفقوا عليها سنويا ، أملا فى أن يجرى محصلو الأموال تحقيقا فى الأمر ، فيصدقون ما يزعم الأعداء من أكاذيب ، ويظهر الباطل فى لباس الحق .

« فلما عرف الايلخان -بفضل فراسته الملكية - أن كلامهم كذب وافتراء ، عهد الى أحد المقربين لحضرته باحضارى ، مع شهود الزور الذين أملى عليهم الأعداء ما قالوه ، حتى يتم البحث والكشف عن حقيقة تلك الأقوال فى بلاط السلطان » .

كان مجد الملك حريصا كل الحرص على مزافقة مبعوث الايلخان الى بغداد حتى يستطيع أن يتدبر الأمور هناك ويوجه الأحداث الى الوجهة التى

(١٢٠) سورة الاعراف آية ١١٢ .

(١٢١) لعل علاء الدين يريد بهذه الجملة الاعتراضية أن يشير الى أن طائفة النصارى فى بغداد وعلى رأسهم الجاثليق لم يكونوا مسئولين عما حدث .

راجع أيضا فيما سبق ، ص ١٦ ، ١٧ .

(١٢٢) انظر صلة تسليية الاخوان ، ورقة ١٤ .

يريدها وقد اشتملت خطة مجد الملك وأعوانه - لدى وصولهم مع المبعوث الى بغداد - على ثلاثة جوانب :

**الأول :** القاء القبض على علاء الدين ، « فلقد هداهم تفكيرهم الى أننى طالما كنت مطلق السراح قلن يقسنى لأحد أن يلتقط حبة الخداع فيقع فى شبك خديعتهم » ، وما زالوا بمبعوث السلطان حتى أمر بالقبض على علاء الدين .

**الثانى :** زيتوا المبعوث السلطان حكومة بغداد ، وربما وعده مجد الملك بمعاونته فى توليها بعد التخلص من علاء الدين ، وكان هدفهم من وراء هذا دفع المبعوث نحو الاتجاه الذى يسيرون فيه ، فيجاريهم فيما عزموا عليه ويوافقهم فى أقوالهم وزورهم (١٢٢) .

**الثالث :** تجنيد أكبر عدد من الشهود ليشهدوا ضد علاء الدين .

ويبدو أن مجد الملك وأعوانه قد نجحوا فى التأثير على المبعوث ، وجعله خادما لأغراضهم ، لأنه لم يكتف بالقبض على علاء الدين بل بدأوا من جديد فى تعذيبه ، يقول انهم « استأنفوا أسلوب التشديد والتكيد ، وكانوا يقصدون فى هذه المرة القضاء على حياتى ، ولم يكن قد بقى لدى من المال شيء أتمكن بواسطته من تدارك أمر من الأمور » (١٢٣) .

والظاهر أن السلطان كان قد أمر مبعوثه بالعودة سريعا ، لكن مجد الملك وأعوانه - برغم علمهم بحرج موقف المبعوث - أبقوه فى بغداد ما يقرب من شهر على وعد الرحيل : اليوم أو غدا ، لأنهم لم يكونوا قد انتهوا بعد من تجنيد عدد كبير من الشهود ، لكنهم قاموا بحملة ضخمة فى بغداد ومضافاتها ، « وأخرجوا الأوباش وعوام الناس من كل ناحية لكى يكتبوا أحاديث الزور ، ويسجلوا شهادة المقتربين ، فلما لم يجدوا من هذا الصنف مصنفا ، أحضروا رجلين أو ثلاثة من العرب ، كنا نتخذهم رسلا بيننا وبين أحد مشايخ العرب ( وغيره من ) الأمراء العرب ، وذلك بالاتفاق مع رؤساء شرطة المغسول وأمرائهم ، حتى يصدقوا أكاذيب هذه الجماعة بالتخويف والترغيب » .

(١٢٣) صلة تسليية الاخوان ، أيضا .



## المماليك والإيلخانيون :

كان علاء الدين ، بحكم موقعه كحاكم لبغداد والعراق العربى ، يسيطر على التخوم الغربية للدولة الإيلخانية ، ويطل من تلك التخوم على دولة شديدة العداء لدولته ، هى دولة المماليك بمصر والشام ، وكان بطبيعته ميالا لخدمة الإيلخانيين ، وان كانوا كفارا ، فهو كثيرا ما يتحدث عن اخلاصه لأولياء نعمته من المغول ، وكان لذلك يتحين الفرص لخدمتهم فى علاقاتهم المتوترة مع المماليك ، ولقد صرح بأنه كان على علاقة ببعض مشايخ القبائل العربية الضاربة فى المنطقة الواقعة بين العراق والشام ، وكان حريصا على ألا يتورط فى هذه العلاقة وحده دون علم من السلطات المغولية ، ولذلك كان يطلع رؤساء الشرطة وأمراء الجيش من المغول الذين يقيمون بالمنطقة ، وكان هؤلاء الأعراب يأتون اليه بأخبار دولة المماليك أولا بأول ، فينقلها بدوره الى السلطان نفسه .

وكان هناك حدث هام وقع فى دولة المماليك قبل عام تقريبا من الأحداث التى تناولناها ، ففي أوائل سنة ٦٨٠ عندما توفى الملك الظاهر بيبرس البندقدار دب الخلاف بين أمراء المماليك ، وما لبث « أن انجاز الأمير سنقر الأشقر ومعه جماعة من أمراء الأتراك البحرية فى ناحية ، وانضم اليه عيسى بن مهنا (١٢٤) أمير أعراب الشام وبيروت ، فاستعد الألفى (١٢٥) ،

---

(١٢٤) « هو عيسى بن مهنا ٠٠٠ أمير آل فضل ، كان ملك العرب فى وقته والمشار اليه منهم ، وكان له منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بيبرس ، ثم تضاعفت عند الملك المنصور قلاوون بحيث ضاعف حرمة واقطاعه ، وملكه مدينة تدمر ٠٠٠ وكان به نفع للمسلمين ، منها أنه كان يكف العدو عن حلب ومعاملتها ، ومنها فى موقعة الملك المنصور قلاوون مع التتار يحمص سنة ثمانين وستمائة ، فانه جاء وقت الواقعة ، واعترض التتار من خلفهم ، فتمت هزيمة التتار به ، وكانت البلاد فى زمانه فى غاية الأمن الى أن توفى سنة ثلاث وثمانين وستماية . »

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى ، ج ٢ ورقة ٤٩٨ع - ٤٩٩ من نسخة دار الكتب المصرية برقم ١١١٢ تاريخ ، انظر أيضا ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٤٣٦ وما بعدها طبع بيروت .

(١٢٥) يعنى بالألفى هنا الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى ، من كبار سلاطين المماليك البحرية . وقد عرف بالألفى لأن الأمير علاء الدين أقسنقر كان قد اشتراه فى بداية أمره بألف دينار ، وقد تولى الملك المنصور العرش فى المدة من رجب =

الذى ما زال يحكم تلك الديار الى الآن ، لمحاربتة فى دمشق . وفى تلك الأثناء وصلتنا أنباء تفيد بأن جحافل الجيش المصرى قد اضطرت فوجا من الأتراك البحرية الى اللجوء الى ساحل الفرات فوصل هذا الفوج بالقرب من عانة والحديثة . وعلى سبيل الحيلة والحذر ، ولاكتشاف بواطن نياتهم ، حيث كانوا يقدمون دائما على عظام الأمور بالمكر والخديعة ، أرسلت من قبلى رسولا ليرغب سنقر الأشقر ، والأمير عيسى فى الطاعة والانقياد لحضرة السلطان . فلما اتفق أن اقترن وصول رسولنا مع انهزامهم أمام « الألفى » بلغ بهم السرور والابتهاج غايته ، وأرسل الأمير عيسى أخاه الى بغداد فى صحبة الرسول ، فأرسلناه مع الثقة والمعتمدين الى حضرة السلطان ، الذى بالغ فى تكريم كل من : سنقر الأشقر وأخى عيسى ، وبعث بالخلع والذهب الى بغداد . ونظرا لما بذله خادم الدولة هذا (١٢٦) من سعى واجتهاد فى هذا الصدد خصه السلطان بالتحسين والانعام كذلك « (١٢٧) .

لا شك أن علاء الدين قد استطاع أن يقدم خدمة كبرى للدولة الايلخانية، عندما اقنع أميرا من كبار أمراء المماليك هو سنقر وأميرا آخر يسيطر على منطقة استراتيجية هامة ، هو عيسى بن مهنا ، بالانحياز الى الايلخانيين ، الذين حاولوا الافادة بوجود سنقر الأشقر بين ظهرانيم لشن حملة جديدة للاستيلاء على الشام . وقد كافأ السلطان علاء الدين علم هذه الخدمة الجليلة بالتحسين والانعام .

### علاء الدين حاكم بغداد وموقعه بين المغول والمماليك :

والواقع أن علاء الدين كان يشعر طيلة حكمه لبغداد والعراق أنه لا يمكن أن يكون حاكما مستقلا ، ولم تواته الجراءة لكى يفكر - مجرد تفكير - بأن ينقسم بالعراق عن الدولة الايلخانية ، وإنما ظل يعد نفسه خادما مطيعا للايلخانيين وموظفا من موظفى دولتهم . وربما عمق هذا الشعور لديه كثرة المؤامرات التى كانت تحاك ضده وتتابعها ، يهدف زحزحته عن حكم هذه

= ٦٧٨ الى ذى القعدة ٦٨٩ ، احدى عشرة سنة وثيفا ، راجع : النويرى : نهاية الأرب، ج ٢٩ ورقة ١ - ٤٥ . نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .  
(١٢٦) يعنى نفسه .  
(١٢٧) صلة تسليية الاخوان ، ورقة ٩٦ .

البلاد ، فكان يباليغ فى الاخلاص للمسلطان ، ويخدم الدولة بكل ما يستطيع عسى ان يقتنع السلطان وولاة الأمر فى الدولة بأنه لا يمكن أن يوجد شخص أكثر ولاء ، واحسن تدبيراً ، وأعظم لياقة من علاء الدين لكى يتولى حكم بغداد .

سبب آخر ، جعل علاء الدين - فيما يبدو - لا يفكر - مجرد تفكير - فى الاستقلال ببغداد مستغلا ضعف الدولة الايلخانية ، وعلو شأن دولة المماليك فى مصر والشام ، هذا السبب يرجع الى أخيه شمس الدين محمد ، الذى كان يتولى وزارة الدولة الايلخانية ، والذى كان لا يد وأن يفقد حياته، بل وتفقده أسرته كلها حياتها ، اذا أقدم أخوه علاء الدين على فعلة كهذه .  
تلك ظل علاء الدين الخادم الأمين ، والتابع المطيع للإيلخان ودولته .

ولعل البعض يتساءل : ألم يكن بإمكان علاء الدين - الذى يتحدث كثيرا عن غيرته على الاسلام والمسلمين - الانحياز بالعراق الى جانب المماليك المسلمين ؟ نستطيع الاجابة على هذا التساؤل بأن علاء الدين لم يكن فى موقف يمكنه من ذلك ، لأن كفة أى من الفسريقين - الايلخانيين والمماليك - لم تكن قد رجحت بعد ، حقيقة كان المماليك يردون الايلخانيين على أعقابهم كلما هاجموا منطقة الشام ، غير أن الايلخانيين كانوا يعاودون الكرة عليهم يحققون حلما طالما داعب خيالهم ، وهو حلم السيطرة على الشام وفلسطين ، وربما مصر أيضا .

وكان علاء الدين نفسه ينظر الى الجيوش الايلخانية على أنها « عساكر منصوره كان الفضاء يبدو ضيقا من حشدهم وكثرتهم » (١٢٨) ، ولم يكن علاء الدين يستطيع أن يغامر بالانحياز الى المماليك فى وقت كانت الحرب سجالا بينهم وبين سادته الايلخانيين .

والحق أن الايلخانيين استطاعوا لبعض الوقت - فى عهد السلطان محمود غازان خان - وبعد موقعة مجمع المروج ، سنة ٦٩٩ ، بسط سيطرتهم على الشام ، لكن كفة المماليك ما لبثت أن رجحت فى نهاية الأمر بعد موقعة مرج الصفر بالقرب من دمشق سنة ٧٠٢ ، وهى الموقعة التى هزم فيها

الايلاخانيون هزيمة منكرة ولم يعودوا بعدها لمحاولة غزو الشام (١٢٩) .  
غير أن هذا الرجحان لكفة الممالك لم يأت بهذه الصورة الحاسمة الا بعد وفاة  
علاء الدين نفسه بأكثر من عشرين سنة .

كان علاء الدين قد قنع بموقعه - أو قل بوظيفته - كحاكم لبغداد  
والعراق وكان غاية ما يتطلع اليه - من الناحية السياسية - هو أن يترك  
عن نفسه وعن عمله انطبعا طيبا لدى الايلخان . ولم ير علاء الدين أن ذلك  
يتعارض مع مشاعره وواجبه كمسلم غير على دينه ، طالما هو يعمل - من  
خلال وظيفته - على تعمير الديار الاسلامية التي يتولى حكمها ، وطالما هو  
لا يعتمد الى استخدام الظلم والعسف مع الناس في تحصيل الأموال الديوانية،  
بل يسد عنهم من ماله الخاص التزاماتهم قبل الديوان (١٣٠) ، وطالما هو  
يضرب للناس المثل تلو المثل للحاكم المسلم في العفة والنزاهة والشرف ،  
وطهارة اليد واللسان ، والخلق القويم ، والبعد عن التعصب ، والتواضع  
النجم ، يقول عنه ابن شاکر الكتبي في « فوات الوفيات » : كان علاء الدين  
وأخوه ( شمس الدين ) فيهما كرم وسؤدد وخبرة بالأمور وعدل ورفقة بالرعية  
وعماراة البلاد . . . وكان القاضل اذا عمل كتابا ونسبه اليهما يكون جائزته  
الف دينار ، وكان لهما احسان الى العلماء والفضلاء ، ولهما نظر في العلوم  
الأدبية والعقلية . . الخ « (١٣١) .

كان لعلاء الدين طبيعته الخاصة ، وهي طبيعة لم تكن تميل . كما هو  
واضح ، الى ايثار الغلبة والنزاع أو التناول والعدوان ، وانما كان يميل  
بطبعه الى أن يبقى في الصف الثانی وراء السلطان والقوة الحاكمة الغالبة  
لكبار أمراء المغول . كان هذا طبيعه ، وكان هذا هو مفهومه لكيفية حكم بغداد  
والعراق العربى فى ظل دولة المغول الايلخانيين .

(١٢٩) انظر عباس اقبال : تاريخ مغول ، ص ٢٢٥ .

(١٣٠) راجع فيما سبق ، ص ٣٣ .

(١٣١) ابن شاکر الكتبي ، فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٤ .

## ٧ - صراع الحق والباطل

ومهما يكن من أمر فإن « مجد الملك » وأعوانه حاولوا أن يلبسوا الحق لباس الباطل ، وأن يجعلوا من هذه الخدمة الجليلة التي أسداها علاء الدين للدولة الأيلخانية خيانة عظمى : « فاستدعوا الزسل الذين كنا نرسلهم - بعلم من رؤساء الشرطة وضباط الجيش - الى جماعة المماليك هؤلاء بل أحضروا التلاميذ والركابيين ، وبذلوا جهودهم لحملهم على مجسراتهم . فانعكست القضية وشهدوا جميعا ضد هذه الأحوال ، بل ان أغلبهم خدع جماعة الأعداء فى بداية الأمر ، وأخذوا منهم الكثير من الدراهم والدنانير ، وخرجوا فى النهاية من المأزق بأيسر السبل » (١٣٢) .

يواصل علاء الدين حديثه قائلا : « ولما هل هلال ذى الحجة انصرفنا فى عقب نواب الإيلخان المصاحبين للمبعوثين المذكورين متوجهين الى الحضرة العالوية » (١٣٣) فلقد سار هذا الركب متوجها الى بلاط السلطان « آياقا » فى همدان ، فى أقصى الشرق من ايران ، واستمر الركب يواصل سيره حتى اذا ما حل يوم الأربعاء الموافق العشرين من ذى الحجة سنة ثمانين وستمائة (٦٨٠) ، وبعد أن اجتزنا « ممر أسد آباد » ، وصل جمساعة من خواص الحضرة السلطانية ،

وقررروا أن حضرة الإيلخان - بعد أن وقف على تزوير الحساد بمقتضى عرض الحال الذى قام به الخواص فى وقت الخلوة - أصدر مساء أمس أمرا ملتبسا بالعطف والرحمسة يقضى بفق قيود جفاء الزمان ، وبإجزال العطاء » (١٣٤) .

وهكذا خرج الجوينى من هذا المأزق ، اذ لم يشهد ضده أحد ، وكانت القضية برمتها تشير بوضوح الى الخدمات الجليلة التى يقدمها للدولة ، فكانت شاهدة له لا عليه . ولكننا - برغم هذا الحق الأبلج - نشتم رائحة المحاولات التى اعتاد الوزير شمس الدين الجوينى على القيام بها وسط كبار

---

(١٣٢) صلة تسلية الاخوان ، ورقة ٦ ب . وهنا يبدأ علاء الدين بعرض مناظرة طويلة جدا تستغرق احدى وعشرين ورقة ، حتى ورقة ٢٧ بين كل من القلب والعقل والصبر ، ولا تشتمل هذه المناظرة على أية اشارات تاريخية ، ومن ثم فهى خارجة عما نحن فيه . وهو بعد انتهاء المناظرة المذكورة يعود لاستئناف حديثه عن سيرته الذاتية فى تلك الفترة من جديد .

(١٣٣) صلة تسلية الاخوان ، ورقة ٢٧ ب .

الأمرء والأميرات لاقتناعهم بالتدخل لدى السلطان ، وانتهاز الفرصة المواتية لعرض الظلم الفادح الواقع على علاء الدين الجوينى . ويبدو أن هذه المحاولات قد نجحت فى النهاية ، فلم ينتظر السلطان حتى يقدم علاء الدين الى همدان ، بل يادر باصدار قرار بالعفو عنه واجزال العطاء له ، قبل أن يصل الى همدان بيوم واحد .

« وقبل الوصول الى سور همدان رأينا الرسل يهرولون الى كل صوب ، ولا علم لأحد بحقيقة الأمر ، حتى وصلنا الى همدان ، فكانت الطامة الكبرى قد وقعت » (١٣٥) ، وتوفى السلطان فى نفس اليوم الذى أبلغ الرسل فيه علاء الدين بأمر الافراج ، أى يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ٦٨٠ (١٣٦) . وكان وقع هذا الخبر على علاء الدين شديدا جدا ، فقد تسير الأحداث فى اتجاه مغاير لصالحه وصالح أخيه الوزير شمس الدين ، لا سيما اذا تولى العرش الأمير أرغون بن أباقا . الذى كان شديد العداء للجوينيين ، وكان من كبار مناصرى مجد الملك (١٣٧) .

#### تباورات عاصفة فى الدولة الايلخانية :

عندما وصل علاء الدين الى همدان رأى الناس حيارى « كقطيع من النعاج ضل فى اليبداء » وقد سار جماعاة الأمرء فى صحبة النخواتين ( الأميرات ) واپناء الملوك بعد يومين من حدوث الواقعة ، ليجتمعوا فى وقت واحد فى « مراغة » . وقد اتجه تفكير بعض الأمرء ، بتحريض جماعاة الوشاة ، اتجاها آخر ، فقالوا : ان تخلية سبيل فلان فى هذه الظروف أمر بعيد عن الحيطة والحزم ، ولذا رجع هؤلاء الأمرء من الطريق الى همدان ، وحالوا بينى وبين التوجه فى الصحبة الى البلاط السلطانى ( بمراغة ) . فبقيت فى ذلك المقام وحيدا ترافقنى الخربة « (١٣٨) .

• (١٣٤) صلة تسلية الاخوان ، ورقة ٧٨ ب .

• (١٣٥) صلة تسلية الاخوان ، أيضا .

• (١٣٦) انظر : عباس اقبال : تاريخ مغول ، ص ٢٢٠ .

• (١٣٧) راجع فيما سبق ص ٢٤ وما بعدها .

• (١٣٨) صلة تسلية الاخوان ، ورقة ٢٩ ١ .

ولا شك أن علاء الدين كان على علم بالتيارات العاصفة التي كان من شأنها أن تجتاح الاجتماع العام ( القوريلتاي ) الذي سيعقده المغول لاختيار سلطان جديد ، يخلف آباقا . فلقد كان آباقا يرغب - في أواسط عهده في أن يتولى عرش الايلخانيين بعده ابنه « أرغون » ، غير أن هذا التدبير كان يتعارض مع قانون « الياسا » الذي وضعه جنكيز خان ، والذي كان يقضى بأن يتولى السلطة أكبر الأمراء الملكيين الأحياء فلم يستطع آباقا أن ينصب أرغون وليا للعهد .

وفي أواخر عهد آباقا ظهر بين أمراء المغول تيار قوى يدعو أن يخلف أرغون أباه ، فلما مات آباقا كان من المتوقع أن ينعكس هذا الخلاف في الاجتماع العام ( القوريلتاي ) الذي سيعقد في « مراغة » . وبعد عنساء شديد توصل « القوريلتاي » الى رأى بالرضوخ لحكم « الياسا » ، فتم بذلك اختيار أكبر الأمراء الملكيين وهو « تكودار » ليتولى العرش ، وكان ذلك في ٢٦ محرم سنة ٦٨١ ، فسمى تكودار نفسه باسم « السلطان أحمد خان » (١٢٩) وعرف باسم « أحمد تكودار » . وبذلك أقضى الأمير « أرغون » عن العرش ، فتحول التنافس بينه وبين السلطان أحمد الى عدااء سافر ، وما لبث أن انقسم أمراء المغول وقادتهم على أنفسهم الى معسكرين : معسكر يناصر تكودار ، ومعسكر آخر يناصر أرغون (١٤٠) ، وكان لذلك أثر بعيد في سير الأحداث في دولة المغول الايلخانيين فيما بعد .

### السلطان احمد تكودار وموقفه من الجوينيين :

كان أحمد تكودار هو الابن السابع لهولاكو ، ولم يكن قد صحب أباه هولاكو في حملته على ايران والعراق ، فلقد كان ما زال صغيراً . وفي فترة طفولته عمد كما يعمد النصارى ، ثم لما أنشأ أبوه هولاكو دولة الايلخانيين في ايران جاء تكودار الى تلك البلاد وأقام فيها ، واختلط بالمسلمين فاعجب بالدين الحنيف ، وما لبث أن اعتنقه في نهاية الأمر ، وسمى باسم أحمد (١٤١) .

(١٢٩) انظر عباس اقبال ، تاريخ مغول ، ص ٢٢١ .

(١٤٠) ايضاً .

(١٤١) انظر تاريخ وصاف ، طبع بمبائى ١٠٥ ، والنويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٥ .

ورقة ١٢٨ - ١٢٩ ، نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

كان علاء الدين عطا ملك الجوينى حاكم بغداد والعراق ، قد بقى معتقلا فى « همدان » نحو شهر ونيف ، حيث ظل خائفاً يترقب صـسـدور قرار « القوريلتاي » ، ولقد كان أشد ما يخشاه علاء الدين أن يتولى « أرغون » العرش فإن ذلك يعنى التتكيل به وبالجوينيين جميعا ، بل وبسائر المسلمين فى شتى أرجاء الدولة الايلخانية ، اذ عرف أرغون بعدائه الشـسـديد للاسلام والمسلمين (١٤٧) . لكن الله - عز وجل - استجاب لدعائه وربما لدعاء كافة المسلمين فى البلاد ، فتولى السلطان أحمد العرش .

ويقول علاء الدين : « ولما أمسك الأعزة والاخوة فى الدين - ولو أننى قلت أكثر فرقة الاسلاميين فى الأقطار لبدا ذلك مبالغة منى - بحلقة الدعاء والتضرع بيد « ادعونى » ، وأصاخرو السمع لانجاز الوعد بمقتضى قوله تعالى « استجب لكم » لم تلبث أن ضربت « فتحت أبوابها » فانتشر رنينها فى سائر أرجاء العالم ، وأقبل الرسل الميـشرون يبشرون جلوس سلطان سلاطين العالم خان بن خان بنى آدم السلطان أحمد ، وأحضروا معهم أمر خلاص هذا العبد ( يعنى نفسه ) » (١٤٣) .

وأعجب ما فى الأمر أن الايلخان - فى هذه المرة - أصدر أمره بالافراج عن علاء الدين من تلقاء نفسه ، دون حاجة الى شكاية أو وصاية ، فلقد كان مقتنعا ببراءته ، لكن يبدو أن كلمته لم تكن مؤثرة على أخيه أباقا ، فتجنب - فى حياة أباقا - التدخل فى الأمر ، غير أنه الآن - بعد أن تولى العرش - أطلق سراح علاء الدين عن قناعة خاصة من جانبه .

يقول علاء الدين : « والحقيقة أن القضية برمتها كانت قد تناهت الى سمعه المبارك منذ مدة طويلة ، فمجها ولم يسغها ، ولم يكد كرسى العرش يزدان بمقامه السامى حتى تفقد - كما تفقد سليمان الهدهد - حال هذا العبد المقيد بقيود عناء الليالى ، والمريض بسهام الفلك الحجود ، وسير الرسل لاحضارى دون حاجة منه الى عرض حال وتذكير ، أو الى توسل بتدبير

---

(١٤٢) تولى أرغون عرش الدولة الايلخانية سنة ٦٨٣ ، أى بعد وفاة علاء الدين بنحو عامين ، فقتل الوزير شمس الدين الجوينى ، وعين مكانه وزيراً يهودياً يسمى « سعد الدولة » ، فسام المسلمين سوء العذاب .  
 (١٤٣) صلة. تسليية الاخوان ، ورقة ١٣٠ .



فوصلوا على القور. من حدود مراغة الى همدان وأزاحوا عن القيسود  
الروحانية والجسمانية .

« وفي يوم السبت الخامس من صفر سنة احدى وثمانين وستمائة  
سرننا في صحبتهم الى حضرة السلطان ، وفي اليوم الخامس لارتحالنا لحقنا  
بالجيش الأشرف (١٤٤) في أرمينية ، ومن ثم توجهنا الى « الطاق » (١٤٥)  
لخدمة البلاط السامى . وقد انعقد بها اجتماع عام « قوريلتاي » عظيم اجتمع  
فيه ملوك الأقطار ، وأبناء الملوك ، والأمراء من جميع النواحي ، واشتغلوا  
بالمفرح والسرور تسعة أيام بلياليها » (١٤٦) .

وكان لا بد للسلطان من أن يصدر قراراته بتعيين كبار المسؤولين في  
الدولة « فشرع بعد الانتهاء من الاحتفالات في تدبير الأمور العظام ، وعين  
الأمراء في مختلف نواحي البلاد ، كما عين الولاة والعمال في كل قطر من  
الأقطار . ولما كان أخى ( يعنى الوزير شمس الدين الجوينى ) أطال الله  
بقائه ، يمتاز على أقرانه بمزية التمتع بالعطف السلطاني ، فقد خصسه  
وحده دون غيره بالبلاد التي كانت تحت تصرفه ، مثل خراسان ، ومازندران ،  
والعراق ، وأران ، وأذربيجان » .

وهكذا أقصى مجد الملك عن مشاركة صاحب الديوان شمس الدين محمد  
في حكم البلاد التي اختص بها في عهد آباقا (١٤٧) ، وأضاف السلطان أحمد  
لوزير شمس الدين بلاد الروم ، المعروفة حالياً بآسيا الصغرى التي كان  
يحكمها حينذاك سلاطين سلاجقة الروم ، فاشترك شمس الدين معهم في  
حكمها بأمر أحمد تكودار . أما ديار بكر والموصل وأربيل ، وهي مناطق  
مجاورة للعراق حسب التقسيم الإداري للإيلخانيين المغول ، فقد صدر أمر  
الإيلخان بأن يحكمها هارون بن شمس الدين الوزير . فماذا عن بغداد  
والعراق العربي إذن ؟ يقول علاء الدين :

- 
- (١٤٤) يبدو أن هذا الجيش كان عبارة عن فرقة خاصة للسلطان أحمد تكودار .  
(١٤٥) منطقة تقع في شمال أذربيجان وجنوب القوقاز .  
(١٤٦) صلة تسليية الاخوان . ورقة ٣٢ ب .  
(١٤٧) انظر فيما سبق ، ص ٢٦ - ٢٧ .

« كان أمر بغداد ، طبقا لما تواترت به الأخبار ، قد فسد بعد أن كان منظما ، ولحق الخراب بالأعمال ، فكان الأيلخان - دون أن يتقدم اليه أحد منا - أننا وأخى - بأى التماس ، ودون أن يذكره أحد من أركان الدولة - يقول منذ أن جلس على العرش ، حتى خلال أيام الاحتفالات وجلسه المبارك : ان معاملة تلك الجهة مهملة ، فينبغى إعادة خادمنا فلان ( يعنى علاء الدين ) على الفور ليتدارك الأحوال .

ولقد بذل السلطان فى هذا الأمر أيضا تعطفًا بالغًا ، وفوض الى تلك المصالح وأشار بتوجهى عاجلا ، وشرفنى بأنواع الخلع من ( الجتر ) المظلة والسلاح الخاص وغير ذلك « (١٤٨) .

#### المرأة وديورها فى ابطال سعيات الاعداء :

ولئن كان علاء الدين حريصا على التأكيد بأن هذا الانعام والتكريم الذى شمله - وأخاه شمس الدين والجوينيين جميعا - انما جاء بدافع ذاتى من السلطان نفسه دون تدخل من أحد ، فان صاحب كتاب « جامع التواريخ » يذكر قصة أخرى ، يقول ان الاشراف على الممالك كاد أن يحول الى مجد الملك ثانية ، لولا أن لجأ شمس الدين الى « أرمنى خاتون » ( زوجة السلطان أحمد ) فتم اقراره على القاعدة السابقة بفضل رعايتها « (١٤٩) .

ومرة أخرى تتدخل إحدى الأميرات ، وهى دائما زوجة أثيرة من زوجات السلطان لصالح الجوينيين ، ويبدو أن الوزير شمس الدين الجوينى كان يدخر نفوذه لدى هؤلاء الأميرات حتى يحين الوقت المناسب لتدخلهن ، فيطلب اليهن التدخل ، فلقد كان نفوذ شمس الدين لدى هؤلاء الأميرات - فيما

---

(١٤٨) صلة تسلية الاخوان ، ورقة ٣٤ ب - ١٣٥ ، ويبدو أن نفس التقليد كان متبعًا فى دولة المماليك ، ولعل المماليك أخذوه عن الغول ، راجع القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، طبع مصر ١٩٢٠ م ، ٢ : ١٢٣ ، ٣ : ٤٦٩ ، ٤ : ٢٧ ، وأماكن أخرى متفرقة وهو يستخدم لفظ « الجتر » بمعنى المظلة .

(١٤٩) جامع التواريخ ، نسخة المكتبة الاهلية بباريس Suppl. Pers. 209  
ورقة ٣١٦ ب نقلا عن القزوينى ، فى مقدمة جهانكشاي ، ص ! ند ، وانظر الترجمة العربية لجامع التواريخ ، م ٢ ج ٢ ص ٩٤ .

يبدو - هو السهم الأخير فى جعبته • وكان اذا أعيته الحيلة طلب اليهسن  
التدخل فى وقت الخلوة بالسلطان ، وهنا يحدث التأثير العجيب ، وتصدر  
لصالح الجوينيين القرارات متجاوزة كل المقاييس ، ضاربة عرض الحائط  
بكل التحقيقات التى تمت والمعلومات التى جمعت والسعيات والوشايات  
التي بذلت ضد هؤلاء الجوينيين •

ولقد رأينا كيف تدخلت فى محنة علاء الدين الأولى « أولجاي خاتون »  
زوجة أباقا المفضلة وصاحبة الكلمة المسموعة لديه ، وفى المحنة الثانية  
تدخلت زوجة أخرى لأباقا وهى « بيلوغون خاتون » ، وكانت من أحب نسائه  
اليه ، فأنقذت كل واحدة منهما علاء الدين - وربما أسره الجوينيين بأسرها  
- من المصير المحكوم فى اللحظة الأخيرة • والآن ، ها هو ذا شمس الدين  
الجوينى نفسد يطلب الى الأميرة « أرمنى خاتون » زوجة السلطان أحمد  
تكودار أن تتدخل لكى يعينه السلطان وزيرا مستقلا ، ولقد عين بالفعل بفضل  
رعايتها ، ولم يكن هذا بالأمر الغريب •

#### ٨ - الجوينيون يحاولون التخلص من مجد الملك

ويادر شمس الدين الى اغتنام هذه الفرصة المواتية ، فحرض جماعة  
بدأوا يغمزون مجد الملك وينقلون عنه صدقا وكذبا ، وفى تلك الأثناء  
أرسل مجد الملك رسالة الى الأمير أرغون ( قال فيها ) : اننى غلامك وخادمك ،  
وقد سقى صاحب الديوان أباك ( السلطان أباقا ) سما فقتله ، وهو يريد قتلى  
لأنه يعرف بأنى على علم بهذا الأمر ، فلو وقع لى حادث فليعلم الأمير أن هذا  
هو السبب « (١٥١) •

وكان لمجد الملك ابن أخ يسمى سعد الدين ، قد علم بأمر هذه الرسالة ،  
وكان مجد الملك قد عزله فى ذلك الوقت من عمله كخازن خاص له بسبب  
ظهور خيانتة ، الأمر الذى أضر به أضرارا بالغا ، فأفلس « وهام على وجهه  
الى أن وقع عليه جماعة من أصحاب الصاحب ( شمس الدين ) فحملوه اليه ،  
فوعده بوظيفة مستوفى العراق ، وفى الحال أخذ يتلطف معه ويتودد اليه ،

(١٥٠) راجع فيما سبق ، ص ٢٦ ، ص ٤٢ •

(١٥١) جامع التواريخ ، أيضا •

حتى وقع سـعد الدين وقرر أن مجد الملك والأمير أرغون على قلب رجل واحد ، وأنه أرسل الى أرغون رسولا ٠٠ فصدر الأمر بأن يتولى الأميران سونجاق وأروق مساملة مجد الملك ومحاكمته « (١٥٢) » .

### نهاية مجد الملك :

كانت هذه هي بداية النهاية لمجد الملك ، فلا شك أن السلطان أحمد كان يشعر بعداء شديد للأمير أرغون الذي بدأ يجمع الأنصار من أمراء المغول وقادتهم ، وبعد العدة للاطاحة بالسلطان أحمد لأنه ظن أنه استلبه ملكا . ولاشك أيضا أن وقع هذا الخبر - خبر تعاون وزيره مجد الملك مع أرغون - كان مؤثرا على السلطان ، الذي أمر بإجراء تحقيق فوري .

وما لبث نطاق التحقيق أن اتسع ليشمل النظر في مكائد مجد الملك ضد الجوينيين .

ففى هذه الأثناء عرض على السلطان حديث ائتلاف المال الذى كان مجد الملك وأعوانه قد استولوا عليه من علاء الدين ، عندما جردوه من كل ما يملك حتى الأثاث ومتاع البيت (١٥٢) ، وقد تصرف ( مجد الملك ) فيه ولم يرسله الى الخزانة ، فصدر أمر سلطاني برد الأموال على الفور ، وأمر بأن يتولى الأميران الكبيران ( يعنى سونجاق وأروق ) التحقيق فى شأنها ، فأشارا بحبس أولئك الأشقياء ، وختما على أمتعتهم وسائر ما يملكون ، ثم شرعا فى البحث والتفتيش . وبعد مرور يومين أو ثلاثة نصبا خيمة نقلا إليها الأمتعة المنهوبة من الجواهر والثياب والأواني الذهبية والفضية . فلما سأل الأميران عن مصدرها - فى حضور الأيلخان - لم يقو لسان ذلك الشقى ( يعنى مجد الملك ) على حركة الجواب ، ولم يتمكن من الإنكار . فلما صار اعتراف الخصم شاهدا على حقيقة الأمر ، تفضل الأيلخان فأشار برد الأمتعة الدنيا « (١٥٤) » .

(١٥٢) أيضا .

(١٥٢) راجع فيما سبق ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(١٥٤) صلة تسلية الاخوان ورقة ١ ٣٧ .

وهنا تبدو حنكة علاء الدين وخبرته الطويلة فى معاملة المغول ، فهذه بضاعته قد عثر عليها أخيرا ، بعد أن نهبها مجد الملك وأعوانه ، ولم يسلموها إلى الخزانة ، وقد ردت البضاعة إليه بأمر من السلطان . لكن علاء الدين قال للمسلطان : « ان كل ما حصلنا عليه من البداية الى النهاية انما كان من المبار والصدقات الايلخانية ، وما حدث الآن انما هو من يمن هذه الدولة التى تزداد عظمة يوما بعد يوم . ألا يمكن اذن أن يصدر السلطان أمرا بتوزيعها فى هذا المجلس الكبير ( القوريلتاي ) ؟ ! فلتأمروا الخزان بتوزيع هذا القدر من الأمتعة ، وان كان قبيحا وحقيرا ، على الخدم والعبيد الآخرين (١٥٥) فأشار السلطان بنهبها كلها .

« فلما فرغ الأمراء من هذا الأمر ، وجدوا بين الأمتعة فى جيب حزامه أدراجا للتعاويد واللقى ، بعضها مكتوب على الورق بحبر ذهبى وأحمر ، والبعض الآخر مكتوب على جلد جبهة أسد باللغة العبرية وغيرها . وهذا التصرف عند المغول فى غاية الشناعة والقيح .، وما أكثر من هلك من الناس بسبب اقتراف مثل تلك الأمور فأخذ الأمراء فى تحرى ذلك الأمر ، فلما ضاق عليه ( يعنى مجد الملك ) مجال الاعتذار ، أشار « البخش » (١٥٦) وعبدة الأصنام والعارفون بالسحر بأن تغمس كل تعويذة ورقية تم العثور عليها فى الماء ، ثم تعصر حتى يشرب عصارتها فيلحق به شر السحر ، فامتنع عن شربها ، فكان امتناعه هذا دواء ناجعا لدفع شره ، وكان القدر موافقا ومواتيا بدون تدخل من جانبنا ، نحن معشر خصومه . ولذا أيقن المغول أن ذلك كان سحرا ، فلما حق عليه قول السحر ، صدر الأمر بتسليمه الى خصومه كى ينفذوا فيه حكم الياسا » (١٥٧) .

وهكذا سلم مجد الملك الى علاء الدين وأخيه شمس الدين لقتله بأمر من الياخان .

(١٥٥) صلة تسلية الاخوان ، ق ٦٣٧ .

(١٥٦) بخش : كلمة مغولية ، معناها الكاهن والرئيس الدينى لمعبدة الأصنام من اتباع بوذا . راجع الحاشية المفصلة التى كتبها كاترمر فى الجزء الذى نشره من « جامع التواريخ » ص ١٨٤ - ١٩٩ . وانظر أيضا القزوينى ، مقدمة تاريخ جهانكشاي ، ص : نو .

(١٥٧) صلة تسلية الاخوان ، ٣٧ ب .

« وما لبث خبير تسليمه أن انتشر بسرعة البرق بين الجند ، فوصلت أفواج المغول - كيارا وصغارا ، كما وصل أقوام آخرون تباعا قادمين من أماكن تبعد عدة فراسخ ، فأخذوا يصلون فوجا فوجا - كما يرد العطشان على الماء ، والسقيم على الشفاء - ليثربوا من دمه ، ويضربوه بكل سيف ويحرقوه فى النار » (١٥٨) .

ويبدو أن حكم « الياسيا » كان يقضى بأن يعهد الى خصوم المذنب باتخاذ قرار نهائى بشأنه ، فاما أن يقتلوه أو يصفحوا عنه ، ومن ثم بدأت فكرة الصفح والتجاوز تراود علاء الدين ، يقول :

« ونظرا لمقابلة السوء بالاحسان والكرم ، التى كانت غالبية على الطبيعة بصفة دائمة ، كان رأيى قد استقر على أن أقابل جرمه بالتجاوز ، فقالت النفس الأمانة للقلب : معلوم أن كافة الخلق فى هذه البلاد مطلعون على وجود هذا الشر الذى هو أصل الفساد والضرر ، فليس من اللائق أن تمنع فى التفكير بأمره ، واستمع الى الأصدقاء الشفوقين ، ولا تدع الفرصة تفلت من يدك ، ولا تنخدع بتذليله وعجزه ، فهو نفسه الذى دفع بك فيما مضى الى الماء المغرق ليهلكك ، ولقد رحمتماه أنت وأخوك لما يبديه من عجز وجزع . وعلمتاه على انقاذه . واليوم ، وقد مضى على ذلك ما يربو على العشرين سنة ، منذ أن كان مشمولا بانعامكما وشفقتكما ، ولم ير منكما أى أذى ، حتى الشوكة لم يشاكها ، كان جزاء صنيعكما معه ما ترى ، ولقد فعل ما فعل ، فما الذى يمكن أن يصدر عنه الا الفساد : من جرب المجرب حلت به الندامة (١٥٩) .

« ولقد ظلت نفسى تحادث قلبى فترة طويلة على هذا المنوال ، وقد غضب العظماء العظوفون (١٦٠) فتجنبتنى وأشاحوا بوجههم عنى لكثرة تكرار أمثال هذه النصائح ، التى لم يكن لها أدنى تأثير فى قلبى ، كما أطلق الغرباء أيضا سهام العتاب واللوم .

---

• أيضا (١٥٨)

• (١٥٩) صلة تسلية الاخوان ورقة ١٣٨ .

• (١٦٠) لعل أخاه شمس الدين محمد كان واحدا منهم .

« وكان أغلب المغول ومختلف الطوائف تترقب بفارغ الصبر اللحظة التي تشفى فيها غليلها من دمه ، بل اضطرب أخوته وأقاربه لما يحدث من تراخ ، وأخذوا يقولون : « فى التأخير آفات » (١٦١) .

« ولكن القلب بقى مترددا ، والطبيعة الأصلية تميل الى العفو والصفح عنه ، فى الوقت الذى أخذت السنة الخلق تنادى بالتعجيل بدفع شره » (١٦٢) .

ويبدو أن هذا التردد الذى سيطر على علاء الدين استمر من الصباح حتى منتصف الليل ، يقول : « وفى نهاية الأمر ، عندما تجاوز الليل نصفه ، وكان المتأهبون للغزو يتعجلون ، وأصحاب العزاء – يعنى اقاربه – أكثر منهم تعجلا ، أرسلوا اثنين أو ثلاثة من المغول الى الخيمة ليقولوا : لقد صدر الحكم والأمر بأن تحافظ على هذا الرجل الليلة ، ولا تمسه بسوء ، حتى تعاد مسألته غدا . ولما لم يكن قد قدر لى من قبل أن أتعرف على هؤلاء المغول ، فقد صدق جميع الحاضرين هذا الكلام ، وعندئذ فتحوا باب التوبيخ والخصومة معى . والحقيقة أن حديثهم أثر فى قلبى ، فانتابنى الندم على ما فرط منى من تأخر وإبطاء ، فأصبح القلب هدفا لسهام الملام » (١٦٣) .

ولقد كان ما فعله هؤلاء المغول حيلة خدعوا بها علاء الدين لكى يتمكنوا من اخراج مجد الملك من الخيمة ، ويششفوا فيه غليلهم ، بسبب ما ظهر من اعتماده على السحر ، : « فلما أخرجوه ارتفع صياح المغول وتكبير المسلمين فجأة ، فبادر كل واحد من الحاضرين – سواء كان راكبا أم راجلا – بطعنه وضربه ، وجرح عدد من الناس من جراء التسابق على الفتك به . وكما يحدث فى عيد الأضحى عندما يتنازعون على رأس الأضحية ، اشتد التنازع بينهم على رأسه ، ولبثت مختلف الطوائف التى كانت قد تجمعت فى ذلك المساء يهللون ويصيحون حتى الصباح ، ثم أخذوا يضعون أعضاءه وعروقه على النار المشتعلة ويشوونها ثم يأكلونها » (١٦٤) .

(١٦١) صلة تسلية الاخوان ورقة ٣٨ ب .

(١٦٢) أيضا تسلية الاخوان ورقة ٣٩ ١ .

(١٦٣) أيضا .

(١٦٤) صلة تسلية الاخوان ، ورقة ٣٩ ١ . ولم يكن هذا التصرف غريبا على المغول

فقد مر بنا أنهم فعلوا نفس الشيء مع معين الدين برونه حاكم بلاد الروم . راجع فيما

سبق ، ص ٢٤ .

ولم يكتف المغول بذلك ، بل عمدوا بعد ذلك الى تمزيق « جثته عضوا عضوا » وأرسلوا الى كل بلد من البلدان عضوا من أعضائه ، فأرسلوا رأسه الى بغداد (١٦٥) ، واشترى رجل لسانه بمائة دينار من قائد الحرس ، وحمل اللسان الى تبريز . وبهذه المناسبة قال أحد المعاصرين هذين البيتين ( بالفارسية ، وترجمتهما ) :

— إقد قمت يوما بتزوير سجلين أو ثلاثة ، طالببا بذلك المال والملك والتدبير .

— والآن قد أخذ كل اقليم عضوا من أعضائك ، وبذلك ملكت الدنيا في أسبوع واحد .

ولقد هلك في منطقة « الاطاق » (١٦٦) ورؤى ارسال أعوانه من النصارى وغيرهم — بعد أن تم احتجازهم عدة أيام — الى بغداد . فلما دخلوا بغداد رجمهم الأنصار والمهاجرون (١٦٧) في بغداد ، فأتوا عليهم عن آخرهم : رميا بالجملة وطعنا بالخناجر ، وضربا بالسيوف . ثم جمعوهم في «سوق الخشب» وأشعلوا نارا وأحرقوا جثثهم « (١٦٨) .

هذه هي نهاية العدو اللدود ، والخصم المبين لعلاء الدين ، هو مجد الملك اليزدى ، ونهاية أعوانه وهي في نفس الوقت نهاية الرسالة الثانية التي كتبها علاء الدين بنفسه ، والتي أطلقنا نحن عليها اسم « صلة تسلية الأخوان » (١٦٩) . وهذه الصلة تنتهي بمقتل مجد الملك الذي وقع في ليلة الأربعاء الثامن من جمادى الأولى سنة ٦٨١ (١٧٠) . ولما كانت وفاة علاء

(١٦٥) « كما أرسلوا يده الى العراق ( العجمى ) وقدمه الى فارس » ( تاريخ الوصاف ، طبع بومباي ، ص ١٠٩ ) .

(١٦٦) راجع فيما سبق ، حاشية ١٤٥ .

(١٦٧) لعله يعنى بالأنصار ، أهل بغداد الأصليين الذين بقوا فيها بعد فتح المغول لها ، كما يعنى بالمهاجرين ، أولئك الذين هاجروا اليها ، وأقاموا فيها بعد أن تحسنت أحوالها الاقتصادية والحضارية ، انظر فيما سبق ص ١٥ .

(١٦٨) صلة تسلية الاخوان ، ورقة ١٤٠ .

(١٦٩) راجع فيما سبق ، ص ٤٣ — ٤٤ .

(١٧٠) انظر ، جامع التواريخ ، الترجمة العربية ، م ٢ ج ٢ ص ٩٦ .



الدين في رابع ذى الحجة من نفس العام فان علاء الدين يكون اذن قد ألف هذه الرسالة - قبل وفاته بما يقرب من ستة أشهر (١٧١) ، وربما أقل من ذلك .

وقبل أن يصل علاء الدين الى بغداد ، أرسل اليها رسالة - باللغة العربية - وقرئت الرسالة على الناس في جامع الخليفة ، وفي مستهلها نوه علاء الدين بوفاء أهل بغداد ، وأعرب عن فرحه واغتنباطه بما أنعم الله عليه من انتصار على عدوه ، ثم ندد بسيرة مجد الملك ، وبألم في الحفارة بالعهد الجديد الذي بدأ ينصب أحمد تكودار سلطانا (١٧٢) .

### وفاة علاء الدين :

تفاقم الخلاف والنزاع على العرش بعد جلوس السلطان أحمد تكودار فقد زعم ابن أخيه أرغون بن أباقا أنه أحق بالملك منه ، وأخذ يجمع الأتصار حوله ، كما سبق أن ذكرنا (١٧٣) .

وكان من الطبيعي أن يشعر أرغون بالعداء الشديد تجاه الجوينيين ولا سيما الوزير شمس الدين وأخيه علاء الدين ، لأنهما كانا من أخص خواص السلطان أحمد ، وكانا يقومان بتدبير الأمور بمهارة بالغة في مملكته .

ويبدو أن السلطان أحمد حرص على إبقاء علاء الدين الجويني الى جانبه أيضا ، مع أخيه الوزير شمس الدين للاستعانة بهما في تسيير الأمور بالبلاد . فبعد أن تم اختيار علاء الدين لحكم بغداد والعراق العربي في صفر سنة ٦٨١ كان يتعين عليه الاتجاه على الفور الى بغداد لأصلاح ما ألم بها من

---

(١٧١) انظر : القزويني ، مقدمة جهانكشاي ، ص : نج .  
 (١٧٢) راجع هذه الرسالة في : الحوادث الجامعة ، المنسوب لابن الفوطي ، ص ٤١٩ - ٤٢٢ ، ولم يعرف القزويني شيئا عن هذه الرسالة ، ولذلك لم يضعها ضمن مؤلفات علاء الدين وآثاره ، ولا غرو ، فهذه الرسالة لم تنشر الا في سنة ١٩٣٢ في بغداد ، أي بعد أن نشر القزويني مقدمته بعشرين سنة ، انظر مقنة القزويني لكتاب تاريخ جهانكشاي ، ج١ ص : عن وما بعدها .  
 (١٧٣) راجع فيما سبق .

خلل في غيبته (١٧٤) . لكن علاء الدين بقي بجوار السلطان ، ولم يعد بعد ذلك الى بغداد على الاطلاق (١٧٥) ، اذ توفي بعيدا عنها في آخر السنة المذكورة ٦٨١ ، كما سنرى .

ومن ثم تغير قلب أرغون على علاء الدين وأخيه شمس الدين تغيرا شديدا . وقد انضاف الى ذلك ما تردد بين الناس في ذلك الوقت من أن شمس الدين هو السبب في موت أباقا ، لأنه قدم له السم (١٧٦) . وقد صادفت هذه الشائعة قيولا لدى أرغون الذي عزم على الانتقام من الجوينيين .

كانت بغداد والمنطقة المجاورة لها تعد مشتاة لسلطين المغول وأمرائهم، يأتون اليها لكي يقضوا الشتاء بين ربوعها . وفي أواخر سنة ٦٨١ توجه الأمير أرغون الى بغداد معترضا قضاء الشتاء بها . فلما وصل بغداد قال : أريد الأموال التي احتجتها علاء الدين في عهد والدي ، وأخذ أصحاب علاء الدين وبدأ في معاقبتهم ومطالبتهم ، وأمر بنيش قبر « نجم الدين الأصغر » (١٧٧) الذي كان نائب علاء الدين ومعاونه ، ولم يكن قد مضى على وفاته وقت طويل ، ثم ألقيت جثته في الطريق . فلما وصل ذلك الخبر الى علاء الدين تغير ، وتالم ألما شديدا . فأصابه صداع مفاجيء ، وتوفى بهذه العلة (١٧٨) في رابع ذى الحجة سنة ٦٨١ (١٧٩) في مغان (١٨٠) . فحمل

(١٧٤) راجع فيما سبق ، ص ٥٥ .

(١٧٥) انظر : جامع التواريخ ، الترجمة العربية م ٢ ج ٢ ص ٩٦ ، حيث يشير رشيد الدين مؤلف كتاب جامع التواريخ الى أن علاء الدين لم يذهب لبغداد وأرسل نوابه للتكفل بالأعمال والأشغال .

(١٧٦) انظر تاريخ الوصاف ، ص ١١٩ ، ونهاية الأرب للنويري ، ج ٢٥ ورقة ١٢٧ من نسخة دار الكتب المصرية - رقم ٥٤٩ معارف عامة .

(١٧٧) انظر جامع التواريخ ، الترجمة العربية ، ص ٩٨ .

(١٧٨) يقول الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام - نقلا عن ابن الفوطى - ان علاء الدين سقط عن فرسه فمات ، ج ٣٢ ورقة ٧ ، نسخة دار الكتب المصرية ، ٤٢ تاريخ .

وما في المتن رأى رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ ، الترجمة العربية ص ٩٩ .

(١٧٩) انظر تاريخ الوصاف ، طبع بمباى ، ص ١١٩ ، وتاريخ الاسلام للذهبي نقلا عن ابن الفوطى ، نفس النسخة والموضع وهناك اختلاف يسير ورد في المنهل الصافى لابن تغرى بردى ، ج ٢ ورقة ٣٧٧ من نسخة دار الكتب المصرية ، تاريخ ١١١٢ .

وتاريخ كزيده لحمد الله الستوفى القزويني ، طبع ادوارد براون ، ص ٥٨٦ .

(١٨٠) راجع مقدمة جهانكشاي للقزويني ، ص : نط .

نعشه الى تبريز ، ودفن بها ، وعندئذ أرسل السلطان أحمد رجلا آخر من الجوينيين هو السيد / هارون بن شمس الدين محمد الجويني ، اى ابن اخى علاء الدين ليتولى حكومة بغداد مكانه (١٨١) .

ولم تلبث أسرة الجويني كلها أن نكبت بعد مقتل السلطان أحمد فى ٢٦ جمادى الأولى سنة ٦٨٢ ، وتولى أرغون العرش مكانه (١٨٢) ، فقد قتل الوزير شمس الدين محمد فى ٤ شعبان من السنة نفسها ولم يلبث أن قتل أولاده بما فيهم هارون حاكم بغداد ، كما قتل منصور بن علاء الدين عطا ملك ، ولم تأت سنة ٦٩٢ حتى كان قد قضى على معظم افراد هذه الأسرة الكبيرة ، ودفن أكابرها فى نفس المقبرة التى دفن فيها علاء الدين بتبريز ، وهى تسمى مقبرة جرنداب . وقد رثاهم أحد شعراء عصرهم بقصيدة عربية مطلعها :

يا جرنداب من مقابر تبريز

سقاك الحية الملت الهامى (٢٩٨٢)

---

(١٨١) انظر : ابا الفدا ، اسماعيل بن على عماد الدين : المختصر فى أخبار البشر ، طبع القسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ ، حواشي سنة ٦٨٠ ، انظر أيضا الحواشي الجامعة ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(١٨٢) انظر عباس اقبال ، تاريخ مغول ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

(١٨٣) انظر : تاريخ الوصاف ، وقد أورد عددا من أبيات هذه القصيدة ص ١٤٢ - ١٤٣ ، طبع يومبائى .

### خاتمة

بلغت الفترة التي قضاها علاء الدين عطا ملك الجويني حاكماً لبغداد والعراق العربي أربعاً وعشرين سنة ، بدأت في سنة ٦٥٧ هـ ، بعد قضاء المغول على الخلافة العباسية مباشرة ، وانتهت بوفاة علاء الدين سنة ٦٨١ هـ .

ولولا مهارة علاء الدين وخبرته الإدارية الطويلة ، ولولا المكانة التي احتلتها أسرته في الدولة الأيلخانية المغولية ، لما استطاع أن يبقى في هذا المنصب الخطير كحاكم لبغداد طيلة هذه السنين كلها ، في ظل دولة عرفت بالتقلب والتغير السريع .

ولقد أراد علاء الدين - منذ أن تم تنصيبه حاكماً لبغداد - أن يبرهن على أنه رجل الساعة المطلوب لبغداد والعراق العربي جميعاً ، فعمد إلى النهوض بالبلاد ، وأعاد بناءها اقتصادياً وحضارياً ، فازدهرت بالعمران من جديد ، وعاد إليها من هجرها من أهلها ، واستردت قابليتها لاستيعاب المزيد من السكان والأهلين من كل البقاع ، وأضحت مثلما كانت أيام الخلافة مدنية وازدهارا واتساعاً في العمران والبنيان .

ولئن كانت الفترة الأولى من حكم علاء الدين لبغداد فترة قلق لا تتسم بالكثير من الثبات ، فما لبثت الأمور بعد ذلك - ومنذ حوالي سنة ٦٧٢ هـ - تميل إلى الاستقرار ، وتؤكد للجميع أن العراق قد نهض من كبوته ، وأوشك على التخلص من الآثار المدمرة لفتح المغول لبغداد . لكن هذه الشهرة التي تمتع بها العراق يومئذ جعلت أفواه المنافسين من أمراء المغول ، وغيرهم من الناقمين على الأسرة الجوينية - تتحلب طمعاً في حكم بغداد ، ورغبة في الإطاحة بحاكمها علاء الدين عطا ملك الجويني .

وكم عانى علاء الدين من هؤلاء المنافسين والناقمين ، وكم من مرة تعرض فيها للتنگيل والتعذيب ، وتعرضت أمواله للسلب والنهب ، لكنه صمد حتى النهاية واستطاع الإطاحة بكل منافسيه .

ولقد كان علاء الدين قانعا بوظيفته كحاكم لبغداد والعراق العسري، ولم يكن له من مطمع سياسي - حتى خلال فترات الضعف التي انتابت الدولة المغولية في ايران - سوى أن يترك عن نفسه انطبعا طيبا لدى السلطان المغولي ، ولم ير علاء الدين أن ذلك يتعارض مع واجباته ومشاعره كمسلم غيور على دينه ، طالما هو يعمل - من خلال وظيفته - على تعمير الديار الاسلامية التي يتولى حكمها . ولذلك ، ومن خلال هذه النظرة ، لم تواته الجراءة لكي يفكر بأن يستقل بحكم العراق ، أو يطلب معونة المالك - الأعداء اللدودين للایلخانيين المغول وعد نفسه - دائما - التابع المطيع للایلخانيين .

لكن علاء الدين استطاع - برغم ذلك - أن يسترد لبغداد شهرتها بين البلاد ، وأحبه أهل العراق ، وترفعوا عن مجارة أعدائه والحاق الأذى به ، ودافعوا عنه ووقفوا الى جانبه في المحن العديدة التي ابتلى بها ، فعد محبتهم له من نعم الله - عز وجل - عليه . وعبر عن مشاعره تلك وغيرها ، وتحدث عن الأحداث التي مرت به ومر بها من خلال سيرته الذاتية التي كتبها بنفسه عن الفترة الأخيرة من حياته كحاكم للعراق .

---



## اسماء المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم  
الكامل فى التاريخ - ١٣ جزءا ، بيروت ١٣٦٨ هـ .
- أحمد محمود الساداتى ( دكتور )  
٢ - تاريخ جهانكشاي ، مقال نشر بمجلة تراث الانسانية . العدد الثانى ،  
المجلد الرابع ، مصر ١٩٦٦ م ص ١١٨ - ١٢٢ .
- الأحمد نكرى ، القاضى  
٣ - جامع العلوم فى اصطلاحات الفنون ، ٤ أجزاء ، بيروت ١٢٩٥ .
- ابن تغرى بردى  
٤ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، مخطوط بدار الكتب المصرية  
فى ثلاث مجلدات برقم ١١١٢ تاريخ .
- جعفر حسين خصباك  
٥ - أحوال العراق الاقتصادية فى عهد الايلخانيين المغول ( ٦٥٦ -  
٧٢٧ ) مقال منشور بمجلة كلية الآداب بجامعة بغداد سنة  
١٩٦١ م .
- الجوينى ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد  
٦ - تاريخ جهانكشاي ( بالفارسية ) ٣ أجزاء ، بتحقيق المرحوم محمد بن  
عبد الوهاب القزوينى ، ليدن ١٩١٢ - ١٩٣٧ م .
- ٧ - تسليية الاخوان ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم  
Suppl. Pers. 1556
- ٨ - صلة تسليية الاخوان ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس  
Suppl. Pers. 209
- حمد الله المستوفى القزوينى  
٩ - تاريخ كزیده ( بالفارسية ) جزآن ، طبع ادوارد براون ، ليدن  
١٩١٠ - ١٩١٣ م

الخطيب البغدادي

- ١٠ - تاريخ بغداد - طبع المطبعة السلفية بالمدينة المنورة .

ابن خلدون

- ١١ - العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ طبع بيروت .

الخوازمي

- ١٢ - مفاتيح العلوم - طبع مصر ١٩٧٨ م .

خوندامير ، غياث الدين بن همّام

- ١٣ - حبيب السير ، ( بالفارسية ) ، نشر محمد حسين كاشاني ، بمبائى  
١٢٧٣ .

الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد

- ١٤ - تاريخ الاسلام ، النسخة الخطية المصورة بدار الكتب المصرية برقم  
٤٢ تاريخ .

رشيد الدين فضل الله الهمداني

- ١٥ - جامع التواريخ ( بالفارسية ) نسخة المكتبة الأهلية بباريس ،  
رقم Suppl. Pers. 209 ، نقلًا عن محمد بن  
عبد الوهاب القزويني في مقدمة تاريخ جهانكشاي ، الجزء  
الأول .

- ١٦ - جامع التواريخ ( الترجمة العربية ) للاستاذة الدكتور يحيى الخشاب،  
والدكتور فؤاد الصياد ، وصادق نشأت ، م ٢ - ج ٢ ، طبع مصر  
١٩٦٦ م .

ابن شاکر الكتبي ، محمد بن شاکر بن أحمد

- ١٧ - فوات الوفیات . تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٤ م .

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا العلوي

- ١٨ - الفخرى في الآداب السلطانية ، مصر ١٩٢٧ م .



عباس اقبال

١٩ - تاريخ مغول ( بالفارسية ) ، طهران ١٣٤٧ هـ . ش

عبد المجيد أبو الفتوح بدوى ( دكتور )

٢٠ - المذهب السننى فى المشرق الاسلامى من القرن الخامس الى سقوط بغداد ، رسالة دكتوراه محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة ١٩٧٨ م .

ابن العبرى ، أبو الفرج فرغوريوس اهرن

٢١ - مختصر الدول - طبع بيروت ١٨٩٠ م .

ابن عنبة ، جمال الدين أحمد بن على الحسنى العلوى

٢٢ - عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب - بمبائى ١٣١٨ .

أبو الفدا ، اسماعيل بن على

٢٣ - المختصر فى أخبار البشر ، طبع القسطنطينية ١٢٨٦ .

فؤاد عبد المعطى الصياد ، ( دكتور )

٢٤ - المغول فى التاريخ - بيروت ١٩٧٠

ابن الفوطى ، كمال الدين عبد الرازق بن الفوطى البغدادى

٢٥ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، بفسداد ١٩٣٢ م .

القلقشندى ، أبو العباس أحمد

٢٦ - صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، مصر ١٩٢٠ م .

محمد السعيد جمال الدين ( دكتور )

٢٧ - دولة الاسماعيلية فى ايران ، مصر ١٩٧٥ م .

محمد ضياء الدين الرئيس ( دكتور )

٢٨ - الخراج والتظم المالية فى الدولة الاسلامية ، مصر ١٩٧٧ م .

محمد عوفى

٢٩ - لىاب الالىاب ( بالفارسية ) ، تحقيق ادوارد براون ، ليدن ١٩٠٣

نصير الدين الطوسى ،

٣٠ - كيفية واقعة بغداد ( بالفارسية ) - نشر فى ذيل الجزء الثالث من تاريخ

جهانكشاي بتحقيق محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، ليدن ١٩٣٧ م .

٣١ - رسالة الى اهل الشام ، نشرها الدكتور عبد الامير الاعسم فى كتاب

« الفيلسوف نصير الدين الطوسى » ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٠ م .

النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

٣٢ - نهاية الأرب فى فنون الأدب ، نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم

٥٤٩ ، معارف عامة .

-- Boyle, J.A., Ibn al-Tiqtaqa and the Tarikh-i-Jahan Gushay of Juvaini, B.S.O.A.S. Vol. XIV, Part I.

## فهرس الاعلام

( ت )

تاج الدين على بن الطقطقى : ١٩ ، ٥ ، ٢٠ ،  
التتتر : ٢  
تغاجار ياغورجى : ٣٩ ، ٤٠  
( ج )  
الجاتليق : ١٦  
جلال الدين المنكبرى : ٦  
جنكيز خان : ٦ ، ٧ ، ٥٢  
جوشى : ٢٦  
الجوينيون ( أسرة الجوينى ) ، ( أسرة  
صاحب الديوان ) ، ١٢ ، ١٤ ، ١٨ ،  
٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٩ ،  
٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ،  
٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥

( ح ، خ )

حسام الدين المنجم : ٩  
الخوارزميون : ١ ، ٦  
( د )  
الدولة الايلخانية ، دولة المغول ، الاسرة  
الايلخانية ،  
الايلخانيون المغول : ١٣ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٦ ،  
٢٩ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،  
٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،  
دولة المالك : ١٩ ، ٤٨

( ز )

رشيد الدين فضل الله : ١٣ ح

( س )

سعد الدين : ٥٦ ، ٥٧  
السلاجقة : ٦  
سلاجقة الروم : ٥٤  
سليمان ( عليه السلام ) : ٥٣  
سنقر الاشقر : ٤٦ ، ٤٧  
سونجاق : ١٤ ، ٥٧  
ابن شاکر الكتبى : ٤٩

( ١ )

أباقسا : ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ،  
٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ،  
٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٣ ،  
ابليس : ٤٤  
أتايكة يزد : ٢٢  
الأتراك الجىرية : ٤٦ ، ٤٧  
أتسز خوارزمشاه : ٥  
أحمد تكودار ، السلطان أحمد خان ،  
تكودار : ١٨ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،  
٥٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤  
ارغون آقا ( الامير ) : ٧ ح  
ارغون بين آباقا ، ارغون : ٢٤ ، ٥١ ،  
٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ،  
٦٤  
أردوقيا : ٢٦  
ارمنى خاتون : ٥٥ ، ٥٦  
اروق : ٥٧  
اسحاق الارمنى : ١٨ ، ١٩  
الاسماعيلية ( الملاحدة ) : ١ ، ٧ ، ٨ ،  
٢٥  
الاعراب : ١٨ ، ٤٦  
الافى : انظر المنصور سيف الدين قلاوون  
الاميراطورية المغولية : ١٣  
الامين ( الخليفة المعباس ) : ١٠  
الانصار : ٦١  
أهل الشام : ١١  
أولجاي خاتون : ٢٥ ، ٥٦  
الاييرانيون : ٢٧

( ب )

اليخشى : ٥٨  
يهاء الدين محمد بن شمس الدين الوزير :  
١٤ ، ٢٢  
يهاء الدين محمد بن محمد : ٥ ، ٦  
بولوغون خاتون : ٤٢ ، ٥٦  
بويل ، ج ، ١٠ : ٢

محمد بن عبد الوهاب القزويني : ٢ ، ٣ ،

٤٣ ، ١١

محمد بن علي ( ابن الطقطقي ) : ٥

محمد خوارزمشاه : ٦

محمود غازان خان : ٤٨

المستعصم : ٥

المسلمون ( الاسلاميون ) : ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠

المصريون ( راجع المالك ) : ٢٣

المعتز : ٩

معين الدين يروانه : ٢٤

المغول : ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٦ ،

١٨ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ،

٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ،

٦٤ ، ٦٦

الممالك : ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٠ ،

٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٦

الماليك ( العبيد ) : ٢٨

منكوقا ان : ٧

المنتصر : ٩

متصور بن علاء الدين عطا ملك : ٦٤

المنصور سيف الدين قلاوون ( الالفى ) :

٤٦ ، ٤٨

المهاجرون : ٦١

منكوتيمور : ٣٥ ، ٤٠

مينورسكى : ٢

( ن )

النبي ( صلى الله عليه وسلم ) : ٤٣

نجم الدين الاصفهري : ٦٣

النصارى : ١٧ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٦١

النصارى النسطورية : ١٦

نصير الدين الطوسي : ١٠ ، ١١

( ه ، ي )

هارون بن شمس الدين الوزير : ٥٤ ، ٦٤ ،

هولاكو : ٢ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ،

١٤ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٥٢

اليهود : ٤٣

شمس الدين محمد الجويني : ٦

شمس الدين محمد الجويني الوزير : ١٣ ،

١٤ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ،

٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ،

٤١ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤

( ص ، ط ، ظ )

صفى ملك : ٢٢

طاهر ذو اليمينين : ١٠

طغاجار : ٢٦

الظاهر بيبرس البندقدار : ٢٤ ، ٤٦

( ع )

العباسيون ، بنو العباس : ٥ ، ٧ ، ٩ ،

١٣

العرب : ٤٥

عز الدين بن الاثير : ٢

علي بن ابي طالب : ١٤

عبيد الله علي : ٣٧

عيسى بن مهنا : ٤٦ ، ٤٧

( ف ، ق )

الفضل بن الربيع : ٥

قراچوقا : ١٨ ، ١٩

قونقور آتاي : ٤٢

( ل ، م )

أبو لهب : ٤٣

المتوكل : ٩

مجد الدين بن الاثير : ٢٣ ، ٣٠ ،

مجد الملك العيزي : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ،

٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ،

٦١ ، ٦٢

محمد بن طاهر : ١٠

### فهرس الاماكن

- أنربايجان : ٥٤  
 آسيا الصغرى ( بلاد الروم ) : ٢٤ ، ٥٤  
 أموى ( نهر ) : ٢٦  
 اران : ٥٤  
 اربيل : ٣٦ ، ٥٤  
 أرمينية : ٥٤  
 اصفهان : ٦  
 الطاق ( الاطاق ) : ٥٤ ، ٦١  
 الموت : ٨  
 الانبار : ١٤  
 ايران : ١٣ ، ٥٠ ، ٦٦  
 بغداد : ٢ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦  
 باريس : ٣  
 البلاد الفارسية : ٧  
 بيروت : ٦  
 تبريز : ٢٧ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٦٤  
 تستر : ٤٠  
 تكريت : ٣٦ ، ٣٨  
 الحبيثة : ٤٧  
 حمص : ٤٠  
 خراسان : ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ٤٠ ، ٥٤  
 خوزستان : ٩ ، ١٣  
 رحبة الشام ( الرحبة ) : ٣٦ ، ٤٠  
 دار المستاه ( قصر المنسى ) : ٤١  
 سجلة : ٤١  
 دجيل : ٣٩  
 دمشق : ٤٧  
 ديار بكر : ٥٤  
 دير ( قرية ) : ٣٦  
 سيواس : ٢٥  
 الشام : ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩  
 عانة : ٤٧  
 العراق ( العراق العربى ) : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٩ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦  
 العراق العجمى : ٦ ، ٧ ، ١٤ ، ٤٦  
 فارس : ١٤ ، ٢٩  
 الفرات : ١٤ ، ٤٧  
 فلسطين : ٤٨  
 قراقرم : ٧ ، ١٠ ، ١٣  
 الكوفة : ١٤  
 مازندران : ٦ ، ٧ ، ٥٤  
 مجمع المروج : ٤٨  
 مراغة : ٥١ ، ٥٢  
 مرج الصفر : ٤٨  
 مصر : ١٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨  
 معبد مراغة : ٢٧  
 مغان : ٦٣  
 ممر أسداباد : ٥٠  
 منغوليا : ٧  
 الموصل : ٣٦ ، ٤٠ ، ٥٤  
 النجف : ١٤  
 هارقارد : ٢  
 همدان : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣



# فهرست

- ١ . . . . . مقدمة
- ٥ . . . . . ١ - علاء الدين الجوينى قبيل حكم بغداد  
٦ . . . . . مولده وأعماله الديوانية  
٨ . . . . . تبرير الواقعة
- ١٢ . . . . . ٢ - علاء الدين وحكمه لبغداد  
١٤ . . . . . الجوينيون يمسون بأزمة الادارة فى الدولة الايلخانية  
١٤ . . . . . النهوض بالعراق  
١٦ . . . . . علاء الدين والنصارى فى بغداد
- ١٨ . . . . . ٣ - وشايات وعداءات  
٢٢ . . . . . منافس خطير للجوينيين  
٢٦ . . . . . علو شأن مجد الملك اليزدى
- ٢٨ . . . . . ٤ - علاء الدين شاهد على أحداث عصره  
٢٨ . . . . . صورة للبلاط الايلخانى  
٣١ . . . . . بغداد وشهرتها بين أقاليم الدولة الايلخانية  
٣٣ . . . . . الخروج من الأزق
- ٣٤ . . . . . ٥ - مجد الملك يواصل الكيد لعلاء الدين  
٣٧ . . . . . شمس الدين الجوينى ودوره فى انقاذ أخيه  
٣٩ . . . . . التعذيب  
٤١ . . . . . الخلاص  
٤٢ . . . . . صلة لرسالة تسلية الاخوان
- ٤٣ . . . . . ٦ - سعاية جديدة يدبرها الأعداء  
٤٦ . . . . . المماليك والايلائخانيون  
٤٧ . . . . . علاء الدين وموقعه بين المغول والمماليك











رقم الايداع ٨٢ / ٣٩٥٨.